الأقوال الحسان

فى حسن نظم القرآن

❊ تأليف ❊

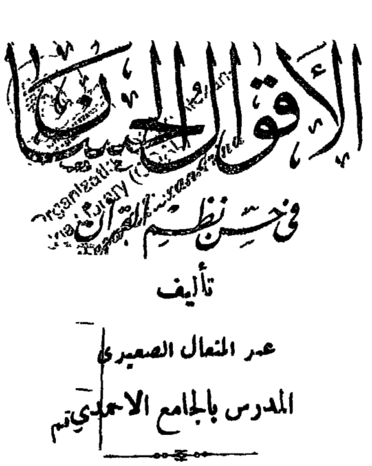
عبد المتعال الصعيدى

المدرس بالجامع الاحمدى

قال القاضى أبو بكر بن العربى .

« ارتباط آى القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسعة المعانى منتظمة المبانى علم عظيم لم يتعرض له الا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله لنا فيه فلما لم نجد له حملة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه اليه

(مطبعة المعارف ❊ بطنطا)



تأليف

عبد المتعال الصعيدى

المدرس بالجامع الاحمدى ثم

الجزء الاول

قال القاضى أبو بكر بن العربى

« ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعانى منتظمة المبانى علم عظيم لم يتعرض له الا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله لنا فيه فلما لم نجد له حملة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه اليه . »

المطبعة العمومية بطنطا

اهــداء الــكتاب

الى الشباب الناهض من أبناء المسلمين عموما . وأبناء المعاهد الدينية خصوصا . أهدى كتابى هذا كنموذج لما يطلبونه لمعاهدهــم من الـكتب الحيــة . والتــآليف التى تدب فيهــا روح الحياة الجــديدة . وكواجب على شخص نادى فيهم بالاصلاح فلقى منهم آلافا تردد صوته . وتتغلب على صوت اليــأس الذى كان يحاول أن يصل الى نفوسهم حتى شعرت الامــة والحــكومــة بحاجتهم الى الاصلاح . وألفت وزارات جعلت أول مايعنيها القيام به . وألفت أحزاب من الامة جعلته مما تسعى اليه لدى الحكومة . فأى فوز بعد هــذا ينسينى تلك الآلام التى لقيتهــا فى سبيل تلك المبادئ من نفر كنت معهم كما قال بعض الشعراء

أريد حيــاته ويريد قتــلى — عذيرك من خليلك من مراد

فالى أولئك الذين أثمرت فيهم تلك المبــادئ أهدى كتابى هذا . ولا أقصد به بعد الله زلفى لكبير . وهو حسبي ونعم الوكيل

عبد المتعال الصعيدى

١٧ رجب سنة ١٣٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل القرآن معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم ببلاغته التي أعجزت فحول البلغاء . وحسن نظمه الذي حارت فيه عقول الاذكياء . وخفى سره فلم يدركه الا من أنار الله قلبه . وكشف عن بصيرته .

وبعد فلا يخفى أن القرآن نزل مفرقا فى ثلاث وعشرين سنة . وأن هذا الترتيب الذي نقرؤه ليس على ترتيب النزول فقد تكون الآية تلو الآية وبين نزول الاولى والثانية عدة سنين . وهذا كان سبباً فى صعوبة ادراك مابين آياته من اتصال . وما فى نظمه من تناسق . حتى عد هذا بعض فلاسفة الفرنج مثل (دوزى) الهولندي و (كارليل) الانجليزى عيبا يؤخذ على القرآن . فانه فى نظرهم جاء مخالفاً فى ترتيبه للكتب الوضعية . فليس له مقدمة مثلها . ولا مباحث متسلسلة ذات مقاصد محدودة فى فصول معدودة كمباحثها . بل هو آيات مجتمعة ذات مقاصد مختلفة آية

ومعظ تتلوها آية جهاد تتبعها آية فقه بعدها قصة رسول .
الى غير ذلك مما لا يجرى على قانون الكتابة البشرية . ولا
يتفق مع نظام التأليف المعروف

ويرى الأستاذ محمد فريد وجدى أنه لا شئ فى عدم
مراعاة القرآن قانون الكتابة البشرية . بل لو كان على مثال
الكتب الوضعية فى الترتيب والتبويب لكان كتابا وضعيا
لا سماويا . فالترتيب يقتصر سلطانه على الكلام البشرى .
ويجل عنه كلام الله كما يجل البحر عن ان يحد بما تحد به
الجداول

وهذا كلام خطابى لا يقوى على النقد . ولا يثبت
أمام البحث . فالقرآن لم يخل من الترتيب الذى قال أنه يجل
عنه . فقد نزل مفرقا كما قلنا ثم رتب على هذا الشكل الذى
نراه الآن . ثم ان له فاتحة كمقدمة الكتب وله سور
كأبوابها . ولو لم يكن ترتيبه على خلاف ازمنة نزوله لاجل
وضع المناسب بجانب المناسب . وضم الشبيه الى الشبيه . لكان
العدول عن ترتيبه على ازمنة نزوله الى هذا الترتيب عبثا

وبلا حكمة . وهذا محال على الله سبحانه وتعالى

وأنه لمن أعظم الخطر أن نسلم لهؤلاء القوم أن القرآن لا ترتيب فيه. ولا اتصال بين آياته . ولا ارتباط بين أجزائه فأى شئ يمكننا أن نقنعهم به بعد هذا فيسلموا أنه لا عيب فيه على القرآن . وأى شئ نقوله لهم اذا قالوا أن قرآنكم سئ الترتيب . مفكك الاجزاء . مشتت المعانى والاغراض أينفعنا أن نقول أن الترتيب حسن فى كلام البشر غير حسن فى كلام الله . ومن الذى يقبل منا هذا والترتيب بحكم البداهة حسن فى كل شئ . ومطلوب فى كل كلام فصيح

ولقد عنى المتقدمون بتقسيم السور القرآنية الى ارباع وأجزاء متساوية القدر . لا لشئ الا تسهيل التلاوة والحفظ فلم يعنوا فيها بضم الشبيه الى الشبيه . ولا بجمع الآيات الواردة فى غرض واحد تحت اسم يجمعها . وتندرج به فى السورة كما يندرج الفصل فى الكتاب . ولو عنوا بهذا لا ظهروا القرآن امام عامة الناس وخاصتهم متصل الاجزاء . محدود الاغراض ولم يكن لمثل دوزى وكارليل أن يرميه بأنه مفكك الأجزاء غير محكم النظم . ولظهرت السور القرآنية أمام الناس ذات

فصول متآلفة . ترمي الى اغراض واضحة . وتسير في طريق لا انحراف فيه ولا تعريج . ولا يحيد عن الغرض العام الذى وضعت له السورة

ولم يوجد من المفسرين من اعطي هذا الامر ما يستحقه من العناية . اللهم الا قليل يقصد فى بعض الأحيان لاظهار المناسبة بين آية وآية . فلم يأت بالغرض المطلوب . ولم يحل تلك المسألة العويصة التى تتعطش الى حلها النفوس . وتبحث عمن ينظر لها فى كل سورة نظرة اجمالية ليعرف الغرض الذى وضعت له . ثم يقسمها بعد هذا الى فصول يمت كل منها بسبب الى ذلك الغرض وتنتهي الى الغاية المقصودة من كل سورة

وانها يوم تظفر بذلك يشفى منها الغليل . وتحظى بأعظم أمنية تريدها للقرآن الكريم . وأنا مع اعترافنا بالعجز والتقصير نحب ان نكون اول من يقوم بهذه الخدمة . مستمدين من عون الله ما تقوى به ضعفنا . ومن هدايته ما ينير السبيل امامنا . انه نعم الهادى الى سواء السبيل

من ألف في هذا الفن

نقول هذا الفن مجاراة لصاحب الاتقان الذى عده فنا من فنون القرآن. وهو علم جليل لم يصل اليه من العلماء الا القليل — قال ابن العربى فى سراج المريدين. ارتباط آى القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعانى. منتظمة المباني. علم عظيم لم يتعرض له الا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة. ثم فتح الله لنا فيه فلما لم نجد حملة. ورأينا الخلق بأوصاف البطلة. ختمنا عليه. وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه اليه. وأول من تكلم فيه الشيخ أبو بكر النيسابورى وكان يزرى به على علماء بغداد لعدم علمهم به. وممن ألف فيه الشيخ أبو جعفر بن الزبير شيخ أبي حيان. وكتابه فيه يسمى البرهان فى مناسبة ترتيب سور القرآن. والشيخ برهان الدين البقاعي وكان معاصراً لجلال الدين السيوطى. وكتابه فيه يسمى نظم الدرر فى تناسب الآى والسور. وقد اكثر فخر الدين الرازى من التعرض له في تفسيره الكبير. الا أنه لم يأت فيه بما يشفي

القليل . ولم يتعرض في الغالب الا لاظهار المناسبة بين آية وسابقتها أو لاحقتها . ولم نجده يتعرض لربط آيات السورة كلها حتى تكون كما قال ابن العربي ككلمة واحدة . ولم يعن بالبحث عن الغرض الذى سيقت له كل سورة وتنزيل آياتها عليه . فهذا هو بيت القصيد . وفيه شفاء النفس واثلاج الصدر . وارواء العقل

أما تلك الكتب السابقة فليس بين أيدينا منها شئ ولعلها قد ذهبت بها يد الاهمال . وما نظنها كانت تغني فيما تطمح اليه النفس من هذا العلم فتيلا . او تؤدى من واجبه قليلا أو كثيراً . والا لظهر اثرها في كتب المفسرين التي بين أيدينا . فسنسير في هذا الطريق معتمدين بعد الله على عقل لم نفرح به يوما فذل لنا . واقتحمنا به تلك الصعاب فلم يعص علينا . حتى فاز منها بما لا يخرج عن طوق العقول وبما سيجد له حلة ان شاء الله

ولعل ابن العربي اعتمد في ذلك على مثل ما يعتمد عليه الصوفية في تفسير القرآن من علوم باطنية والهامات خفية . واشارات دقيقة . فأنى في ذلك العلم بما رأى انه لا يمكن

أن يفهمه الناس وضن به عليهم . وهم معذورون فى عدم اقبالهم على تلك الالغاز والرموز . وابتعادهم عمن لا يخاطبهم بلغة المعقول . بل بلغة بدأ عصرها بالافول . وانصرف الناس عنها الى مايفيدهم فى هذه الحياة الدنيا

اصول عامة

تمهيد

فى القرآن فنون من الاحكام الفرعية والاعتقادية والاخلاقية وغير هذا من فنون الوعظ وقصص الانبياء وحكايات الصالحين والجبارين والطائعين والعاصين. ولو أن هذه الفنون قسمت على سور القرآن بحيث يكون بعضها للأحكام الفرعية خاصة وبعضها للاحكام الاعتقادية خاصة وبعضها للاخلاق وبعضها لقصص الانبياء الخ الخ لكانت كل سورة فى غير حاجة ألى هذا العلم لظهور المناسبات بين أياتها . ولكن هل كان يمكن مع هذا أن يصل القرآن ألى حد الاعجاز ببلاغته وباهر نظمه . وأى بلاغة يمكن أن تصل ألى ذلك الحد فى سورة لا تشتمل ألا على أحكام فقهية صرفة ولا يتسع فيها المجال لتحريك العواطف بتلك

البلاغة الساحرة . وذلك النظم العجيب

لهذا جرت عادة القرآن أن يخلط بين هذه الفنون في سوره على الاصول والامثلة الآتية

(١)

أذا أخذ في سرد الاحكام الفقهية أو نحوها يأتي بعد كل حكم منها أذا شاء بآية أو آيات في الوعد والوعيد ترغيبا في العمل به وتحذيراً من تركه

(٢)

أذا أخذ في سرد تلك الاحكام لا يمضي فيها ألى النهاية بل يقطعها الى ذكر قصص المتقدمين واعداء الدين ونحوها تفننا في الكلام . وتنشيطا للخاطر

(٣)

اذا ذكر احوال العصاة انتقل الى ذكر التوبة أذا شاء ليرغبهم فيها ويذكر أحكامها

(٤)

أذا ذكر آيات متعلقة بموضوع واحد فلا يأتي بها في سياق واحد . لان المقصود من تلاوة القرآن أن تكون

عظة وذكرى ولو طال سرد الآيات فى موضوع واحد فات هذا الغرض

(٥)

أذا ذكر قصص المتقدمين يأتى فى خلالها اذا شاء بما يدل على عظة او عبرة . لان هذا هو المقصود من ذكرها فى القرآن . أما ذكرها للعلم بها فهو وظيفة التاريخ

(٦)

أذا سرد احكاما فقهية فلا يراعى فى الغالب أن يجمع منها ما كان من نوع واحد . بل يراعى أوقات نزولها . أو اشتراكها فى حاجة الناس اليها فى الوقت الذى نزلت فيه . وعلى هذا لا يكون سرد الاحكام محتاجا الى تكلف مناسبات كالتى يحتاج اليها فى غيره . بل يكفى ذلك فى صحة الجمع بينها دون غيرها

(٧)

أذا ذكر شرائع وأحكاما فقد يذكر بعدها مايدل على كبرياء الله وعظمته وحكمته لتؤخذ بالقبول. ويحذر الناس من مخالفتها

(٨)

أذا ذكر شرائع وأحكاما فقد يذكر بعدها احوال يوم القيامة وما يكون فيها من سؤال وحساب وثواب أو عقاب تأكيدا للعمل بها

(٩)

أذا ذكر مثلا حال المؤمنين يتبعه بذكر حال الكافرين والعكس بالعكس . لان النفس تتشوف ألى معرفة الضد بذكر ضده

(١٠)

أذا ذكر شيئا ألحق به نظيره لان الحاق النظير بالنظير من شان العقلاء كقوله تعالى كما اخرجك ربك من بيتك بالحق عقب قوله اولئك هم المؤمنون حقا فأنه تعالى أمر رسوله أن يمضي لأمره في قسمة الغنائم علي كره من أصحابه كما مضى لامره في خروجه من بيته للقتال على كره منهم فكان الظفر والغنيمة

(١١)

أذا ذكر شيئا استطرد ألى ذكر ما بينه وبينه مناسبة والاستطراد من مقاصد البلغاء . ويقرب من الاستطراد حسن التخلص وهو أن ينتقل مما ابتدئ به الكلام ألى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاسا حتى لا يشعر به السامع لشدة الالتئام بين الامرين. ويقرب من حسن التخلص الانتقال من حديث الى آخر تنشيطا للسامع مفصولا بينهما (بهذا) كقوله فى سورة (ص) بعد ذكر الانبياء . هـذا ذكر وإن المتقين لحسن مآب

فهذه هى الاصول التى مشى عليها القرآن فى الجمع بين تلك الفنون التى نزل لاجلها فى سوره وفى الانتقال من غرض ألى غرض آخر من الاغراض التى تندرج تحت الغرض العام لكل سورة . وقد تكون هناك أصول أخرى غير التى ذكرناها . ولسنا فى مقام حصر تلك الاصول وانما نريد الارشاد والتقريب. مستغنين بما ستذكره فى كل سورة من وجوه الربط والاتصال بالتفصيل عن الاطناب فى هذا المقام وفيما ذكرنا من ذلك كفاية

١٤

فاتحة القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين»

لم تسم هذه السورة فاتحة القرآن لانها أول سوره كما يظن الكثيرون . وانما سميت بهذا لانها للقرآن بمنزلة المقدمة للكتاب . فكما أن نظام التأليف يقتضى أن لا يفاجئ المؤلف قراء كتابه بمقصوده منه. بل لا بد أن يضع امامه مقدمة تبين غرضه من وضعه .لتكون ادعي للاقبال عليه. كذلك لم يشأ القرآن الا أن يقدم امام مقصوده مقدمة تشعر به وتبين الغرض من انزاله للبشر

ولم يكد القرآن يبتدع هذا النظام الذى لم يسبق اليه فى اللغة العربية ولا غيرها على مانظن. حتى حذا حذوه كل الكتاب . وسلك سبيله كل المؤلفين . وفى هذا اكبر دلالة على انه أتى فى نظام وضع المقدمات للكتب بأحسن نظام واكمله

لا يمسك المؤلف قلمه ليخط أول سطر فى كتابه الا وقد احاط به أجمالا . وتوفرت الدواعى عنده الى وضعه . فن الواجب عليه قبل أن يشرع فى شئ من كتابه أن يحمد الله الذى هداه لهذا . وأن يشكره على ما اوجده فيه من تلك الدواعى الى لولاها لما توجهت نفسه أليه . وقد قال الله تعالى — لئن شكرتم لأزيدكم . فبحمد الله يستمد العون منه ويقوى على اتمام مقصوده

وكذلك هو فى حاجة ألى الالتجاء الى الله بالدعاء لينال منه امدادا او عونا فوق الذى يناله بتقديم الحمد والشكر . وقد قال الله تعالى — ادعونى استجب لكم — وبهذا وذلك وجب فى كل مقدمة كتاب أن تشتمل على هذين الركنين الحمد والدعاء — يضاف اليهما ركن ثالث هو براعة الاستهلال وهو أن يؤتى قبل الشروع فى المقصود بما يشعر به . ليعرف القارئ الغرض من وضع الكتاب . ويكون على بصيرة منه قبل الشروع فيه . ولا يكون كمن يسير فى طريق لا يعرف ألى اين ينتهى به

فهل فاتحة القرآن أو قل مقدمته تشتمل على تلك

الاركان الثلاثة ؟ الجواب نعم

أما اشتمالها على الحمد والدعاء فلا خفاء فيه . فقد افتتحت بالاول واختتمت بالثاني . ومرتبة الحمد قبل مرتبة الدعاء كما يظهر بأدنى تأمل

وأما اشتمالها على براعة الاستهلال فظاهر أيضا . لان سورة الفاتحة تشتمل على ما حقق فى كتب التفسير على معان القرآن واغراضه اجمالا . وفيها اشارة الى ان المراد وضع تشريع جديد . وهدى الناس الى الصراط المستقيم والدين القويم الذي اتى به الانبياء . وضل الناس عنه بفعل من خلفهم من الاتباع والرؤساء الذين حرفوا كتبه وأدخلوا فيه كثيراً من الزيغ والضلال . وهذا هو الغرض من القرآن الكريم وبالاشارة اليه فى الفاتحة تم اشتمالها على الاركان الثلاثة اللازمة لمقدمة الكتاب . وباشتمال الفاتحة عليها تبين أن للقرآن مقدمة كسائر الكتب . وأنه لم يخالف قانون الكتابة فى ذلك كما زعم الزاعمون

ولقد كان العرب فى الجاهلية يفتتحون كلامهم (باسمك اللهم) وهي كلمة جافة تناسب ما كانوا عليه من غلظة الطباع

وقسوة النفوس . فاستبدل القرآن بهذا « بسم الله الرحمن الرحيم » وآثر هذين الاسمين على غيرهما من اسماء الله الكريمة لاجل أن يشير الى أن الدين الجديد دين رحمة لا يأخذ النفوس بالقسوة . ولا يكلفها مالا تطيق . وأن دينا هذا شأنه لجدير بأن يقبل الناس عليه . ويسيروا تحت لوائه . فانظر ماذا فى الافتتاح « ببسم الله الرحمن الرحيم » من الترويج لهـذا الدين الجديد . وهكذا كل شارع فى امر جديد لا يغفل عن الترويج له . والتنوية بشأنه . وكم تحت آيات القرآن مـن اسرار ودقائق

سورة البقرة

سميت هذه السورة بذلك لأن قصة البقرة التى ذكرت فيها اهم شئ يمكن أن تمتاز به عن غيرهـا . والغرض منهـا دعوة بنى اسرائيل الى الايمان . وأنما قدّم دعوتهم على غيرهم من النصاري والمشركين لانهم أقـدم من النصارى ولان كثيرا منهم كان قاطنا بجوار المسلمين بالمدينة . ولانهم أهل كتاب بخلاف المشركين فأمرهم أهم من أمرهم

ولما كان القرآن هو الداعي ألى الايمان وجب الاهتمام بأثبات أنه من عند الله قبل البدء بتلك الدعوة ليكون ذلك كتمهيد لها. ولما كان الايمان عبارة عن أصول وفروع وكانت منزلة الاصول قبل منزلة الفروع جعل دعوتهم على قسمين فدعاهم فى الاول ألى أصول الايمان من التصديق بالنبي والقرآن وسائر ما جاء به وأقام لهم الادلة على نبوته ودفع ما عندهم من شكوك فيها . ودعاهم فى الثانى ألى فروعه فبين لهم من احكامه العملية ما شاء . وقد عمهم بالدعوة اليها فى أول حكم منها ثم خاطب المؤمنين بها لانهم المقصودون بها والذين يقومون بما كلفوا به منها

ولما فرغ من هذا وذاك وقام بواجب الدعوة من الوجهة النظرية فأقام الادلة ودفع الشبه وبين ما أراد من محاسن أحكام الاسلام . انتقل الى بيان وسائل نجاح الدعوة من الوجهة العملية فرغب النبي والمؤمنين فى القتال فى سبيل الله . وأنفاق المال فى أعلاء كلمته . ثم ختم السورة بالتنويه بشأن من اجاب الدعوة ولم يتكبر كما تكبر نبو اسرائيل بل سمع وأطاع وعد ذلك قليلا بجانب ما لله عليه من حقوق

وواجبات فهذه أمور خمسة تعرضت لها هذه السورة تراها متناسبة الوضع. حسنة الترتيب . لها تمهيد ومقاصد وخاتمة كالتى يصنع مثلها فى الكتب الوضعية

﴿ القرآن من عند الله ﴾

الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين

الآيات الى قوله تعالى

والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك اصحاب النار هم فيها خالدون

اثبت أن القرآن من عند الله بدليلين اولهما أن القرآن هاد الى الصراط المستقيم. وكل ما كان كذلك فهو من عند الله لان من يدعو الى الله ويهدى اليه لا يصح أن يكذب عليه ثم ذكر أن من لم يهتد به اما معاند وأما منافق. فالاول قد ختم الله على قلبه فلم يهتد به . والثانى فى قلبه مرض يقف به فى نصف الطريق فيؤمن بلسانه ولا يؤمن بقلبه . ومثله فى هذا الايمان الذى لم ينتفع به كمثل من أوقد نارا اضاءت ما حوله ولم تلبث أن ذهبت قبل أن تضىء نفسه . وقد ذهب فى بيان حال الفريقين ما شاء ثم أمرهم أن يؤمنوا بالله الذى خلقهم

ويتركوا العناد والنفاق

وثانى الدليلين أنه لو كان القرآن من عند النبي لامكنهم أن يأتوا بمثله لانه بشر وهم بشر. ولكنهم لا يمكنهم أن يأتوا بمثله . فهو من عند الله لا من عنده

وبعد أن قرر هذين الدليلين دفع ما اعترضوا به من أن فيه مالا يصح أن يكون من عند الله من ضرب المثل بالبعوض والذباب. فقال أن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها. فكل ما يفعله الله لا يخلو من حكمة . علم ذلك المؤمنون فاهتدوا وجهل به الكافرون فضلوا وكفروا بالله وهو الذى أحياهم من العدم الخ الخ

ثم ضرب قصة آدم لذلك مثلا . وبين أن الملائكة وهم أرقى منهم كانوا يجهلون حكمة الله فى خلق آدم فلما علموا بها أقروا بفضله . وأمرهم بالسجود له فاطاعوا . وعلموا أن كل شئ من الله فهو لحكمة وان خفيت عليهم. أما ابليس فجهل ذلك كما جهل الكفار الحكمة فى ضرب الامثال. وعاند مع جهله كعنادهم . فكان جزاؤه الطرد من الجنة . وان حقت عليه اللعنة الى يوم القيامة

﴿ دعوة بنى اسرائيل ألى الأيمان ﴾

يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وافوا بعهدي اوف بعهدكم واياى فارهبون

الآيات الى قوله تعالى

وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار

قد سلك فى دعوة هؤلاء القوم طريقين اولهما يتعلق بهم من حيث انهم شعب خاص من ولد اسحاق بن ابراهيم والثانى يتعلق بهم من جهة ابناء عمهم اسماعيل بن أبراهيم. وقد عنى فى كل من الطريقين بأمرين اولهما دعوتهم ألى الايمان بمختلف الوسائل من اقناع وترغيب وترهيب وغيرها. والثاني دفع ما عندهم من شبه واعتراضات

الطريق الاول (١)

بدأه بتذكيرهم بنعم الله عليهم ترغيبا لهم فى الايمان. وبالعهد الذى اخذه عليهم أن يؤمنوا بهذا النبي. ثم ذكرهم ثانيا بنعمه ليسلك بهم سبيل الترهيب ويحذرهم يوما لا

تجزى نفس عن نفس شيئا. ثم اخذ يقص عليهم أخبار آبائهم الاولين واحدا اثر واحد وكيف كانوا يجازون على الطاعة بالخير العظيم. وعلى المعصية بالمصائب والشدائد. لتاين قلوبهم ويحذروا مما وقع فيه اسلافهم. ولكنهم قست قلوبهم من بعد ذلك حتى صارت كالحجارة أو اشد قوة (وأن من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون)

(٢)

ثم ذكر أن مثل هؤلاء لا يطمع فى أيمانهم لأنهم فريقان فريق عرف صدق النبى ولكنه لا يرضى أن يغضب قومه وفريق أعماه الجهل فلا يعرف من الكتاب المنزل عليه الا امانى كاذبة. منها انهم يزعمون ان النار لا تمسهم الا أياما معدودات مع ان من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فهو مخلد فى النار (والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون)

(٣)

ثم اخذ يقص ماكان من اسلافهم مع أنبيائهم من نقض

عهودهم وتكذيب كل من جاءهم منهم بما لا تهوى انفسهم أو قتله. وهذا هو الذى يفعله خلفهم مع هذا النبي وقد كانوا يستفتحون به على أهل يثرب قبل أن يهاجر اليهم. فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به بغيا وحسدا. وقالوا عندنا التوراة أمرنا أن نؤمن بها ونكفر بما وراءها. ولو كانوا يؤمنون بها كما يزعمون ماقتلوا الانبياء الذين جاؤوهم لتقريرها. ولما عبدوا العجل والاوثان من بعد وفاة موسى بل فى حياته لما تركهم ليسمع وحى الله فوق الطور فاستغواهم السامرى الى عبادته ولما آثروا الحياة الدنيا على الآخرة التى تكون خالصة لهم لو كانوا هم المؤمنين. فهم احرص الناس علي الحياة وأبعدهم عن العمل الآخرة. ولما عادوا جبريل لانه نزل عليك القرآن بأذن الله وهو من الملائكة الذين لا يعاديهم الا الكافرون (من كان عدو الله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فأن الله عدو للكافرين)

(٤)

ثم ذكر أن الذى انزل عليه ليس مما امروا أن يكفروا به وأنما هو آيات بينات ما يكفر بها الا الفاسقون. وقد

اخذ عليهم العهد أن يؤمنوا بها اذا جاءتهم لا أن يكفروا بها . ولكنهم نبذوا ذلك العهد واتبعوا كتب الكفر والسحر التى ينسبها الاشرار كذبا الى سليمان بن داود (ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون)

دفع الشبه

هذا هو المقصد الثانى فى هذا الطريق .وقد ابتـداه بتحذير المؤمنين من هؤلاء القوم ومما كانوا يؤذون به النبى من قولهم راعنا وغيره . وبين انهم لا يودون لهم من خير. كل هذا تمهيد لما سيذكره من شبههم وتحذيرا لهم منها.وقد ذكر لهم شبها ثلاثة أولها تتعلق بالنسخ فزعموا انه لايجوز على الله . وقد اجابهم عنها بأن فى النسـخ من المصلحة ما يقطـع معها بجوازه . وبأن الله له ملك السموات والارض ينسخ ما يشاء ويثبت ولا شريك له فى ملـكه . ولا حـق لاحـد فى أن يسأل رسوله عن ذلك سؤال تعنت كما كان يسأل موسى من قبل.وأن مثل هذا السؤال لايولده فى نفوس اليهود الا الحسد والحقد على المؤمنين .والواجب عليهم أن يقابلوا هذا بالعفو والصفح حتى يأتى امر الله بالفتح والنصر

ثانيها ما زعموه من أنه لا يدخل الجنة الا اليهود والنصارى وقد اجاب عن هذا بأنه من الامانى الكاذبة وانما تدخل الجنة بالاعمال الصالحة . وبان اليهود والنصارى ليسوا علي اتفاق فى ذلك .فاليهود تقول فى النصارى انها ليست على شئ كما تقول النصارى مثل هذا فى اليهود فكذلك يقولون مثل هذا فى غيرهم . وكلها أقوال فارغة يعلم الله أنها باطلة. ومن أظلم من اليهود والنصارى وكل منهما يسعى فى تخريب بيوت الاخر التي يذكر فيها اسم الله كما خربت النصاري بيت المقدس لان اليهود يولون وجوههم اليه أما المسلمون فلا يستحلون تخريب تلك البيوت ويرون أن الانسان أينما ولى وجهه فثمة وجه الله سواء تلك البيوت وغيرها . ثم هم مع ذلك يعبدون مع الله آلهة أخرى أولادا وأندادا ونحوها

وثالثها ما زعموه من أنه لا معجزة لهذا النبى كغيره من الانبياء وقد أجاب عن هذا بأن الله أرسله بالحق الواضح بشيرا ونذيرا فليس فى حاجة الى مثل تلك المعجزات . وبأن الله يعلم أنهم لا يرضيهم منه الا أن يتبع ملتهم ولو جاءهم بتلك الآيات . وبأن الكتاب الذى انزل عليه هو معجزته عند من

يتلوه حق تلاوته (أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون)

الطريق الثاني

بدأه أيضا بتذكيرهم بنعم الله عليهم وأنه فضلهم على غيرهم ترغيبا وبتخويفهم من يوم لا تجزى نفس عن نفس شيئا ترهيبا . ثم أخذ يقص عليهم من اخبار جدهم ابراهيم وعمهم اسماعيل ما يثبت لهم فضل العرب الذين بعث النبى منهم . وقد كانوا يرونهم أمة حقيرة لا يصح ان يبعث منها نبي من الانبياء . فذكر أنهما هما اللذان بنيا البيت وجعلاه قبلة للناس وشرعا الحج اليه . وطلبا من الله أن يجعله أمنا للناس وأن يرزق أهله من الثمرات . وأن يبعث فيهم رسولا منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويرشدهم ألى ملة ابراهيم التى لا يرغب عنها الا من سفه نفسه من اليهود والنصارى ومشركى العرب الذين يفخرون بنسبتهم ألى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ويخالفون شريعتهم التى وصى بها أبراهيم بنيه من بعده (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون)

دفع الشبه (١)

ثم ذكر لهم شبهتين فى هذا الطريق أولاهما أنهم زعموا أن اليهودية او النصرانية هى ملة ابراهيم وقد اجاب عن هذا بأن ملة ابراهيم كانت شريعة الانبياء من ابراهيم ألى موسى وعيسى . فهى لا تفرق بين نبى ونبى كما تفرق اليهودية الموجودة الآن والنصرانيه

والثانية أنهم زعموا أن ذلك البيت لم يكن قبلة الانبياء وأنما هى بيت المقدس . فمن يتولى عنهـا ألى ذلك البيت بعد أن كان يستقبلها تبعا للانبياء من قبله لا يكون نبيا وقد أجاب عن هذا بجوابين أولهما أن المشرق والمغرب والجهات كلها لله فله أن يختار منها أي جهة شاء . والتغالى فى مسألة القبلة الى هذا الحد لا يليق بالامة الاسلامية التى جعلها الله أمة وسطا واختار لها دينا لا أفراط فيه ولا تفريط . وأنمـا جعل الله قبلة المسلمين ذلك البيت لانه رأى نبيه يقلب وجهه فى السماء ليجعله قبلته بعد أن رأى أن اليهود لم يثمر فيهـم تحويل القبلة الى بيت المقدس . ورأى ان الاسلام لا يقوم الا بالعرب الذين لا يرضون الا ذلك البيت قبلة لهم . لان فى ذلك

حياتهم وتحقيق دعوة جدهم ابراهيم

ثانيهما ان أهل الكتاب يعلمون ان استقبال ذلك البيت هو الحق ولكنهم يكتمونه تعصبا ولا يتبعونه كما لا يتبع بعضهم قبلة بعض . فهم يعرفون كما يعرفون ابناءهم ان النبي الذي يبعث من ولد اسماعيل يستقبل ذلك البيت الذي بناه مع ابيه ابراهيم فالواجب على المسلمين أن يستقبلوه حيثما كانوا لئلا يكون لاهل الكتاب حجة عليهم أذا تركوه ألى غيره . وليعلموا ان الله أراد ان يتم نعمته عليهم بذلك بعد أن جعل رسوله منهم . فليشكروا الله وليستعينوا على أذى هؤلاء القوم بالصبر والصلاة . فسيصيبهم من ذلك الاذى شيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس ولكن ذلك تكون عاقبته خيرا أذا تحمله المسلمون والتجأوا ألى الله في دفعه عنهم (اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون

(٢)

ثم ذكر أن الصفا والمروة كالبيت الحرام من شعائر ابراهيم . وأن هذا معلوم لليهود أيضا ولكنهم يكتمونه

من بعد ما بينه الله لهم فى الكتاب .وأوعدهم على هذا بأن عليهم لعنة الله (خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون)

(٣)

ثم ختم دعوتهم ألى الايمان بتذكيرهم بان ألههم واحد وأن هذا لا يتفق مع اتخاذهم رؤساءهم اندادا يحبونهم كحب الله . ويطيعونهم فى رفض دعوته طاعة عمياء . مع انهم لا يغنون عنهم من عذاب الله شيئا بل يتبرأون منهم حينما يرون هول ذلك العذاب . وحينذاك يقول الذين اتبعوهم(لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار

احكام الايمان

يأيها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين

« الآيات الى قوله تعالى »

كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون

الاحكام التي ذكرت فى تلك الآيات هى — ١ — تحليل الطيبات التى حرمها الكافرون على انفسهم اتباعا للشيطان ولما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا لا يعقلون شيئا. وانما حرم الله عليهم الميتة والدم ولحم الخنزير لا غيرها . ولكنهم يكتمون ما انزل الله فى ذلك ويشترون به ثمنا قليلا. وليس من البر ان يفعلوا ذلك الامر الكبير . ويهتمون بالامور الثانوية في الدين كتولية الوجوه فى الصلاة الى المشرق والمغرب وانما البر اعتقاد صحيح (بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين) وعمل جميل من صدقة وغيرها. وخلق حسن من صبر وصدق وغيرهما .فان هذا هو الذى يصد عن اتباع الباطل وكتم الحق مما أنزل الله — ٢ — القصاص وانه يجب فيه أن يؤخذ الحر بالحر .والعبد بالعبد والانثى بالانثى .وأن العفو وأخذ الدية جائز فى الاسلام — ٣ — طلب الوصية للوالدين والاقربين عند الموت — ٤ — فرض صيام شهر رمضان على الذين يطيقونه . ووجوب الفدية على من لا يطيقه لعذر دائم . ووجوب قضائه على من يفوته صيامه لعذر طارئ .وندب احيائه بالذكر والتكبير

والدعاء . وتحريم الرفث فى نهار رمضان وتجويزه فى ليله
وتجويز الاكل والشرب حتى يتبين الخيط الابيض من
الخيط الاسود من الفجر -٥- تحريم أكل اموال الناس بالباطل
-٦- عدم جواز الحج الا فى مواعيده التى جعل الله الأهلة
مواقيت لها . وابطال اتيان البيوت من ظهورها حين الاهلال
وتجويز القتال فيه دفاعا عن النفس الخ الخ -٧- تحريم
الخصام والسعي فى الارض بالفساد . وذم من يفعل ذلك
من الناس ومدح من لا يفعله ويشترى نفسه ابتغاء مرضاة
الله . فلا يخاصم من يخاصمه ولا يؤذى من يؤذيه . وقد
حذر المسلمين أن يسلكوا مسالك من قبلهم من التنابذ وترك
الاتحاد والمسالمة . والا قضى عليهم كما قضى على بنى اسرائيل
وقد اغتروا بما أنعم الله عليهم . وزينت لهم الحياة الدنيا فتنابذوا
وتخاصموا . وسخر بعضهم من بعض . وكان هذا سببا فى
زوال نعمتهم . وذهاب دولتهم . وقد كان الناس قبل هذا
التفرق امة واحدة . لانه لا غنى لبعضهم عن بعض . وقد
ارسل الله النبيين مبشرين ومنذرين وداعين الى الاتحاد
وانما حصل هذا الاختلاف بعدهم من أتباعهم حينما بغى

بعضهم على بعض . وآذى الذين ضلوا بعدهم من بقي متمسكا بهديهم . ولا ينتظر منهم الآن الا ان يفعلوا معكم مثل الذى فعلوه مع من قبلكم . فقد مستهم البأساء والضراء منهم . وزلزلوا (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا أن نصر الله قريب) — ٨ — حكم النفقة من جهة صرفها وانها تصرف للوالدين والاقربين الخ — ٩ — فرض القتال وانه يجوز فى الاشهر الحرم للضرورة — ١٠ — تحريم الخمر والميسر — ١١ — حكم النفقة من جهة أنها تصرف من فضل الاموال — ١٢ — حل كفالة اليتامى بالاصلاح ومخالطتهم فى المأكل والمشرب — ١٣ — تحريم نكاح المشركات — — ١٤ — تحريم الوطء فى الحيض وتجويز اتيان النساء فى قبلهن انى شاء الانسان — ١٥ — حكم الحلف بالله — ١٦ — حكم الايلاء وعدة المولى عليها — ١٧ — عدة المطلقة بعد الدخول وجواز مراجعتها بلا محلل ان طلقت مرة اومرتين وعدم جوازها الا به أن طلقت ثلاثا وتحريم إمساكها ضراراً بأن يراجعها في آخر عدتها ليطلقها ثانيا وتستأنف عدة أخرى وتحريم منعها من التزوج بعد انقضاء عدتها

غيرة عليها. فاذا كان لها ولد فلها حق الرضاع والنفقة حولين كاملين — ١٨ — عدة المتوفى عنها زوجها وتجويز التعريض بخطبتها في اثناء عدتها — ١٩ — نفي العدة للمطلقة قبل الدخول واثبات المتعة لها اذا لم يسم لها مهر . فأن كان لها مهر فلها نصفه . والأقرب للتقوى أن تعطاه كله . وأن لا ينسى المطلق والمطلقة ما كان بينهما من فضل ومودة . حتى لا يكون الطلاق سببا للتقاطع والفرقة بين المسلمين . ولا شيء يذهب أثره غير المحافظة على الصلوات التي شرعت لجمع الكلمة وازالة التقاطع . فيجب على المسلمين المحافظة عليها في كل حال. ولو عظم الخوف واشتد القتال . وان يعلموا أن المتوفى عنها زوجها احق بتطييب الخاطر من المطلقة قبل الدخول . فيحسن ان تمتع أيضا وأن ينفق عليها حولا في بيت زوجها . الا اذا شاءت الخروج من نفسها بل يحسن تمتيع المطلقات كلهن ولو كان طلاقهن بعد الدخول بهن . فذلك قوله تعالى (وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين . كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون)

وسائل نجاح الدعوة

الم تر الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل علي الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون

الآيات الى قوله تعالى

لله مافي السموات وما في الارض وأن تبدوا مافي أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله علي كل شيء قدير

(١)

وسائل نجاح الدعوة أمران .الجهاد بالنفس وبذل المال وقبل أن يأمر المؤمنين بالجهاد بين لهم أن الذى يضمن النجاح للمجاهدين شجاعة النفس .لا كثرة العدد ٠فنبههم الى قصة الذين خرجوا من ديارهم خوفا من عدوهم وهم الوف كثيرة ٠ ولما قضى الله علي ذلك الجيل الذى خرج من بلاده جبنا مع كثرته عاد خلفهم فاستردوا بلادهم مع قلتهم بشجاعتهم

ثم أمر المؤمنين بالقتال ووعدهم عليه بالاجر وبسط الرزق وهذا بنصرهم على أعدائهم كما نصر هؤلاء القوم على

اعدائهم بعد أن اخرجوهم من ديارهم

ثم بين أن هؤلاء القوم كانوا من بني اسرائيل أخرجهم الفلسطينيون من ديارهم فطلبوا من نبيهم أن يولى عليهم ملكا يحاربون تحت رايته اعداءهم. فنصب لهم طالوت ملكا وذهب بهم الى قتال اعدائهم فغلبوهم مع قلتهم وقتل داود وكان غلاما يرعى الغنم (جالوت) جبار الفلسطينيين. فجازاه الله على ذلك بالملك والنبوة وعلمه مما يشاء الخ الخ

ثم ذكر أن هذه القصة ما كان النبي ليعرفها وهو أمى لو لم يكن من المرسلين الذين بعثهم الله للناس وفضل بعضهم على بعض وأيدهم بختلف المعجزات. ولو شاء الله لهدى أقوامهم من بعدهم فآمنوا بهذا النبي الذى جاءهم بالآيات البينات من هذه القصة وغيرها. ولكنهم اختلفوا (فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد) (٢)

ثم تكلم بعد هذا على الجهاد بالمال فأمرهم بالانفاق مما رزق الله من قبل أن يأتيهم يوم لا ينفعهم فيه خلة ولا شفاعة. فأن الله هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم. ولا شريك

له ولا شفيع (وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم) (٣)

ثم بين أن الغاية من الجهاد ليست اكراه الناس على الدخول في الدين . وانما هو للدفاع عن النفس . فأن الايمان بتوفيق الله يخرج به المؤمن من الظلمات الى النور . ومن لا يريد ايمانه لا ينفعه فيه سيف ولا أكراه . فهذا نمرود غلبت عليه الشقوة فلم تفد معه حجة ابراهيم التي بهت بها . وهذا الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها . اراد الله هدايته فاهتدي بالآية التي أراه أياها . وهذا ابراهيم (قال ربي ارني كيف تحيي الموتى قال او لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم)

(٤)

ثم تكلم على احكام الجهاد بالمال وأولها أنه يجب أن يكون في سبيل الله وابتغاء مرضاته ؛ ليضاعفه له في الدنيا ويدخر له أجرا عند ربه في الآخرة . اما الذي ينفق ماله للمن والأذى فخير منه قول معروف ورد جميل لانه لا فائدة

فيه ، ومثله كمثل صفوان عليه تراب اصابه مطر فتركه صلدا
أما الذى ينفق ابتغاء مرضاة الله فهو كجنة بربوة اصابها مطر
فآتت أكلها ضعفين • وانه لا يليق بعاقل أن يبطل صدقاته
بالمن كما لا يود ان تكون له جنة فيها من كل الثمرات فيصيبها
أعصار فيه نار فيحرقها

وثانيها أنه يجب ان ينفق الانسان من أحسن ماعنده
ولا يسمع للشيطان الذى يحسن له الانفاق من الخبيث
ويخوفه من الفقر • وأنه لا يبلغ فى الانفاق هذه المنزلة منزلة
ايثار الغير بأطيب الكسب الا من يكون قد بلغ درجة
الحكمة • ومن نال هذه الدرجة فقد اوتى خيرا كثيرا

وثالثها ان الله يعلم ما ينفقه العبد فى السر والعلن • وأن
اخفاء الصدقة أحسن من أعلانها • وأنه لا يؤثر اخفاء الصدقة
الا القليل من الناس الذى اراد الله هدايته • وعلم أنه يكتسب
من صدقته عند الله اكثر مما يكتسبه العبد منه • وأن الصدقة
الحقيقية ما تكون لوجه الله لا ليتحدث بها الناس

ورابعها أن أحق الناس به الفقراء (الذين احصروا
فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الارض يحسبهم الجاهل

غنياء من التعفف) الآية (٥)

ثم استأنف الكلام فى فضل الانفاق فى سبيل الله سرا وعلانية ليبين فضله على الربا الذى كانوا يتعاملون به وما كان يليق ان يتركهم يتعاملون بالربا بعد أن امرهم بالانفاق. فحرم الربا وبين انه ليس مثل البيع. وهدد من يتعامل به بالنار فى الآخرة وبمحق ماله فى الدنيا. ووعد الذين يتركونه بعظيم الاجر. وامر من كان يتعامل به أن يترك ما بقى له منه ويقتصر على رأس ماله. وان يمهل المعسر من غرمائه الى أن يزول عسره. ثم حذرهم أن عادوا الى الربا من يوم يرجعون فيه الى الله (ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون)

(٦)

ثم ذكر حكم القرض بعد حكم الانفاق والربا استيفاء للاقسام وتتميما للكلام. لان المال أن بذل للغير لا ليسترد فهو الانفاق. وأن بذل له ليسترد فأن كان فى مقابلة نفع فهو الربا. والا فهو القرض

فبين أنه يطلب كتابة الدين. والأشهاد عليه. فأن لم يكن كاتب فرهان مقبوضة. ومن طلب للشهادة فلا يكتمها

وليعلم ان الله سيحاسبنا على شهاداتنا (فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شئ قدير)

الخاتمة

آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون — الآية ألى آخر السورة

دعا بنى اسرائيل ألى الايمان بما انزل الله فأعرضوا . فأعرض عنهم وقال يكفينا أن يصدق به الرسول وأتباعه ثم بين تواضعهم فى ايمانهم ليظهر فضلهم على بنى اسرائيل واستكبارهم فى كفرهم . فهم مع ما نالهم من الفضل بأيمانهم يقولون (لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما اكتسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين)

سورة آل عمران

سميت تلك السورة بذلك لذكر قصة آل عمران فيها.

ومن يقرأ هذه السورة جملة يجد أنها نزلت وقد كثر المسلمون وأقبلت الدنيا عليهم. واصبحوا لا يرهبون اعداءهم من اليهود والنصارى. فاختلطوا بهم واتخذوا منهم اولياء وبطانة وامتدت أعينهم الى ماعندهم من اموال وفيرة. وقناطير مقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة. فأخذوا منهم واعطوا وعاملوهم بالربا وتعاملوا به. واحبوا المال حبا جعلهم يقاتلون المشركين حبا فيه. ويخالفون امر الرسول كما حصل فى غزوة أحد لاجل الحصول عليه. وما كان أعداؤهم من اليهود والنصارى يخلصون فى مودتهم وأنما أرادو الوصول الى التأثير عليهم فى دينهم بواسطة مافيه من المتشابه وغيره وكان لهذا نتيجة سيئة ظهر اثرها فى غزوة احد. أذ هزم المسلمون فيها شر هزيمة لاول مرة. واصبحوا يرون لانفسهم رأيا مع رسول الله. فقد رأى ان يقاتل المشركين فى المدينة فرأوا إغترارا بكثرتهم أن يقاتلوهم فى أحد. وامر الرماة ان لا

يبرحوا امكانهم فبرحوه الى جمع المال وكان ما كان مما قدر الله . فنزلت سورة آل عمران لدفع الشبه التى حاول النصارى واليهود ان يؤثروا بها فى نفوس المسلمين. ولتحقير ما أحبوهم له من متاع الحياة . ولتحذيرهم من التودد اليهم وبيان الاضرار التى عادت عليهم من الاغترار بهم . وينحصر ذلك في مقدمة ومقصدين وخاتمة

فالمقدمة في تمهيد الاصول التى تندفع بها شبههم. وتحقير ما عندهم من اسباب الغنى والعظمة التى يخافون من زوالها اذا أسلموا بجانب ما انعم الله به على المسلمين من دينه الحنيف واعده لهم من السعادة الاخروية . والمقصد الاول في دفع تلك الشبه . والمقصد الثانى في تحذير المسلمين من التودد اليهم وبيان سوء اثره فيهم . والخاتمة فيما يجب ان يعنى به المسلمون بدل الاغترار بمتاع الحياة . من النظر فى ملكوت السموات والارض. وتكميل النفس بالعلم والايمان . لتنال السعادة الابدية بدل ذلك المتاع القليل . هذا وقد عنى هنا بأمر النصارى ودفع شبههم وأبطال عقائدهم اكثر من اليهود بعكس سورة البقرة فلذلك ذكرت هذه السورة بعدها

المقدمة

الم الله لا أله الا هو الحي القيوم

الآيات الى قوله تعالى

الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين

بالاسحار

مهد المقاصد الاتية في هذه السورة بأمور أولها أن الله واحد حي قيوم — ثانيها أن الله كما انزل القرآن والتوراة والانجيل لنهتدى بها . خلق لنا العقل (الفرقان) لنفرق به بين الحق والباطل . وندع التعصب الذي يعمي الذين يكفرون بايات الله فلا يستعملون عقولهم ليهتدوا بها — ثالثها أن الله عالم بكل شئ في الارض والسماء . ويصورنا في الأرحام كيف يشاء . بواسطة ماء الاب ومن غير واسطته — رابعها أن القرآن فيه محكم ومتشابه ومن الواجب أرجاع المتشابه الى المحكم . ولكن الذين أعماهم الغرور بكثرة المال والولد يتبعون المتشابه ليفتنوا المسلمين . وهي لا تغني عنهم من الله شيئا كما لم تغن عن آل فرعون والذين من قبلهم اموالهم

وكما لم تغن من كفار قريش فى غزوة بدر كثرتهم وكانت فئتهم ضعف فئة المسلمين . على أنها لا تذكر بجانب ما اعده الله فى الآخرة للمسلمين (الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار. الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار)

دفع الشبه

شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا أله الا هو العزيز الحكيم

الآيات الى قوله تعالى

يأيها الذين آمنوا أن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد أيمانكم كافرين

---

(١)

قالت النصارى أن القرآن نص على أن المسيح روح من لله . وأنه ولد من غير أب . وهذا دليل على ألوهيته . فرد عليهم بأن الله واحد بشهادة نفسه والملائكة وأولى العلم فالدين عند الله هو الاسلام لله وحده . وما خالفه أهل الكتاب

ألا وهم يعلمون انه الدين الحق. فأن كانوا طلاب حق لا رواد
شبه فليرجعوا ألى ذلك الدين ليهتدوا. والا فما عليك الا البلاغ
والله بصير بهم وبما كانوا يأتون من قتل الانبياء ومن يأمر
بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم. وبحبوط أعمالهم في
الدنيا والاخرة. وكيف لا نجازيهم بذلك وقد دعوتهم ألى
كتاب الله فأعرضوا. ولم يخافوا من اعراضهم عنك اغترارا
بما يفترون من أن النار لن تمسهم الا أياما معدودة. وسيعرفون
عاقبة غرورهم بأنفسهم وبأنهم ابناء الله واحباؤه يوم توفى
كل نفس ما كسبت. وتجازى بما عملت. فليدعوا ذلك الغرور
فأن الملك لله وحده يعز من يشاء من المؤمنين. ويذل من
يشاء من أولئك الذين قالوا أن النار لن تمسهم الا اياما معدودات

وليعلم المؤمنون ذلك فلا يعتزون بغيره من اعدائه
ومن يفعل ذلك فليس من الثقة بالله في شيء. وليعلموا أن
الله يعلم ما يخفونه من ذلك وما يظهرونه. وأنه لا يجتمع حب
هؤلاء مع حب الله والرسول. فليحبوا الله وحده يحببهم.
وأن تولى المنافقون واستمروا على موالاتهم (فأن الله لا يحب
الكافرين)

(٢)

ثم أخذ يفصل لهم أمر عيسى . وأنه من بيت اصطفاه الله من عهد آدم ألى نوح ألى ابراهيم الى عمران والد مريم عليها السلام . ما منهم الا نبي أو تقي (ذرية بعضها من بعض) فيستحيل ان يشذ عنهم عيسى ويدعي لنفسه الألوهية . ثم ذكر ولادة أمه وفضل الله عليها وتربية زكريا لها ليشير ألى أن مثلها يستحيل ان يأتي بعيسى من سفاح كما تزعم اليهود وقد بلغ من أمرها أن زكريا تمنى ان يكون له ولد مثلها فرزقه الله بيحيي في حين أن امرأته كانت عاقرا . وفي حين انه كان قد بلغ من الكبر عتيا . فهي ولادة عجيبة أيضا كولادة عيسى من غير أب . ولهذا ذكرها هنا معها تخفيفا لغرابتها . وتقريبا لها من العقول

ثم ذكر ولادة عيسى ألى أن صار رسولا يخلق من الطين كهيئة الطير ويبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى بأذن الله وداعيا الى عبادة الله لا ألى عبادته ألى أن توفاه الله ورفعه أليه فمثل عيسى في ولادته من غير أب . كمثل آدم في خلقه من تراب . كل منهما لا يدل على أن المولود اله أو ابن اله

ثم ذكر أن هـذا هو القصص الحق . وأن الواجب عليهم بعد هذا أن يجتمعوا معنا على كلمة سواء بيننا وبينهم (الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)

(٣)

وقالت اليهود والنصارى للمسلمين الذين يدعون أنهم على ملة ابراهيم أن ابراهيم كان يهوديا او نصرانيا . وهـذه هي الشبهة الثانية فردها عليهم وبين أنهم يجهلون دين ابراهيم كل الجهل . فعجيب أن يحاجوا فيه كما يحاجون في دين موسى وعيسى الذي يعلمونه نوعا ما من العلم . فما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا . وان أولى الناس به الذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا به . وما يريد اهل الكتاب الا أن يضلوهم من ملته . وما يضلون الا انفسهم اذ يكتمون ما عندهم من الآيات على أن الله سيبعث نبيا من ولد اسماعيل على ملة ابراهيم (ويلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون)

(٤)

وكان من أهل الكتاب من يستعمل الحيلة والغش في

القاء الشبه فى قلوب المسلمين فيؤمنون بالنبي ليكفروا به فيوهموا المسلمين انه لو كان على حق مارجعوا عنه . وقبل أن يفعلوا هذا يأخذون على انفسهم العهود أن يرجعوا أذا آمنوا ولا يؤمنوا الالمن تبع دينهم فبين للمسلمين أنهم يفعلون هذا كراهة أن يؤتى غيرهم من الدين مثل ما أوتوا ، اذ يرون انهم شعب الله الخاص. فيستحلون أن يكيدوا للمسلمين بهذا كما يستحل بعضهم اكل اموالهم ويقولون ليس علينا فى الاميين سبيل . وكما يستحلون أن يلووا ألسنتهم بكتابهم ويحرفوه عن معناه ليفتنوهم عن دينهم

ثم ذكر انه لا يمكن أن يتبع النبى دينهم ليؤمنوا به وقد آتاه الله القرآن والحكم والنبوة والدين الصحيح . افيتركه ألى دين يأمر بعبادة غير الله ، فيقول للناس كونوا عباد الى من دون الله . ويأمرهم باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا كما تفعل اليهود فى عزير والنصاري فى عيسى والروح القدس هذا بعد أن اسلم الناس لله على يديه . وبعد ان أخذ الله الميثاق على النبيين وأتباعهم أن يؤمنوا بدينه ويتبعوه . أفيتبعهم وهم المأمورون باتباعه . أو يبغون غير دين الاسلام دين

الفطرة (وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها) دين ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وموسى وعيسي وسائر النبيين . ولكن كيف يهدى الله اليه قوما كفروا بعد ايمانهم بأولئك الانبياء فغيروا فى دينهم وبدلوا وشهدوا أن الرسول حق ولكن التعصب يبعدهم عنه . اولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله الا من تاب منهم ولم يصر على الكفر اصرارا يجعل التوبة منه بعيدة . فهذا جزاؤه ان يخلد فى النار ولو انفق ملء الارض ذهبا صدقة فى قومه ولا ينجيه من ذلك فداء فى الآخرة ولو كان قدر هذا الذى تصدق به . فأنه لا طريق الى الجنة الا الايمان بالله وانفاق الانسان مما يحب في سبيله (لن تنالوا البر — الجنة — حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شئ فأن الله به عليم)

(٥)

وقالوا أيضا للمسلمين لو كنتم على ملة ابراهيم والنبيين من بعده ما خالفتم ما كان محرما عليهم كلحم الابل . وهذه هى الشبهة الخامسة

فرد عليهم بان كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل .

وأنما حرم ما حرم عليهم بظلمهم . والتوراة شاهدة على ذلك فأتوا بها لنطلعكم عليه . والا (فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) (٦)

وقالوا كذلك لو كنتم على ملة أولئك الانبياء لاتخذتم بيت المقدس الذى اتفقوا على تعظيمه قبلة لكم . ولم تصلوا الى الكعبة بدله . وهذه هى الشبهة السادسة

فرد عليهم بأن الكعبة من بناء ابراهيم واسماعيل وفيها كان يقوم ابراهيم لعبادة الله . اما بيت المقدس فمن بناء سليمان بن داود . فالكعبة أقدم منه وأشرف . وأنهم ليعرفون ذلك مما عندهم من الآيات التى يكتمونها . ويصدون بذلك (عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون)

المقصد الثاني

يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين

الآيات الى قوله تعالى

ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير

(١)

ابتدأ بتحذير المؤمنين من اهل الكتاب والاستماع لشبههم . وأمرهم بالتقوى والاعتصام بحبل الله وترك التفرق وان يكونوا أمة تدعوا ألى الخير وتأمر بالمعروف . فأنهم ما كانوا خير امة أخرجت للناس الا بهذه الخصلة العظيمة خصلة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر . ولو أنصف أهل الكتاب لعرفوا ذلك الفضل لهم وآمنوا مثلهم . ولكنهم انقسموا قسمين • كافرون وهم الاكثرون . وهؤلاء لاشغل لهم الا أيذاء المسلمين بلسانهم . ومحاولة تشكيكهم فى دينهم وأن يقاتلوهم يولوهم الادبار ثم لاينصرون • فقد ضربت عليهم الذلة والمسكنة بما كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق وبما كانوا يعتدون

ومؤمنون وهم طائفة قليلة آثرت الاستقامة وأن تكون ممن يأمر المعروف وينهى عن المنكر • فلن يضيع عليها ما قدمته من خير • بخلاف تلك الطائفة الفاسقة • فلن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من عذاب الله شيئا • ولا ينفعهم ما ينفقونه منها فى هذه الحياة على انفسهم • ويكون

(كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون)

(٢)

ثم حذرهم أن يتخذوا منهم بطانة يطلعونهم على اسرارهم وبين أنهم لا يخلصون لهم ولا يحبونهم كما يحبونهم . بل ان تمسسهم حسنة تسؤهم وأن تصبهم سيئة يفرحوا بها . كما فرحوا بما اصابهم يوم احد أذ غدا النبي يبوئهم مقاعد للقتال . واذ همت طائفتان منهم ان تفشلا من شدة ما نزل بهم . وبتأثير ما بثوه فيهم من عوامل التثبيط حين الجلوس اليهم

ثم ذكر كيف نصرهم يوم بدر لاول هجرتهم وهم أذلة ليس لهم من هؤلاء الاعداء ولى ولا نصير . وقد جعل الله هذا النصر بشرى لهم . وليقطع طرفا من الكافرين . ويتوب على بعض ويعذب بعضا ظالمين (ولله ما فى السموات وما فى الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم)

(٣)

ثم أراد أن يقلع من نفوسهم حب المال الذي أثر فى هزيمتهم . فحرم عليهم الربا الذى أصبحوا يأكلونه كما تأكله

اليهود الذين اختلطوا بهم اضعافا مضاعفة . فصاروا مثلهم في حرصهم على جمع المال حرصا جعل الرماة في تلك الغزوة يتركون مواقفهم الى الغنيمة بعد أن أمروا أن لا يفارقوها ثم أمرهم أن يطيعوا الرسول ولا يعودوا الى عصيانه . وأن يستغفروا ربهم مما حصل منهم . وان ينفقوا من مالهم في سبيل الله ويتركوا الحرص عليه . وأن يكظموا غيظهم ويعفوا عمن أساء منهم في تلك الغزوة . وأن يعتبروا بسنة الله فيمن سبقهم من الامم الطائعة والعاصية ليحذروا من مثل ما وقعوا فيه . وأن لا يحزنوا مما حصل لهم لان الله أراد ان يمتحنهم به ويظهر المؤمن الحقيقي من المنافق . وليكون لهم قدوة بمن قاتل مع الانبياء السابقين من الربيين الذين لم يهنوا لما اصابهم في سبيل الله (فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين)

(٤)

ثم نهض لرد كيد المنافقين الذين ارادوا أن يستغلوا هذه الهزيمة في فض المؤمنين من حول النبي فرد لهم شبهتين أولاهما أنهم قالوا للمؤمنين لقد وعدكم النصر ولو كان صادقا ما هزمتم .

فرد عليهم بأن الله قد صدقهم وعده ونصرهم ألى أن خالفوا أمر النبي فكف عنهم نصره وتغلب عليهم اعداؤهم فولوا منهزمين ألى أن ثبتهم الله وانزل عليهم آمنة نعاسا الخ

الثانية أنهم قالوا للمؤمنين قد اشرنا عليكم ان لا تخرجوا للقتال نخالفتم ولو لم تخرجوا ما قتلتم هنا وبقيتم آمنين فى بيوتكم. فرد عليهم بأن الاجل واحد والله هو الذى يحيي ويميت وبأن من يقتل فى سبيل الله له من الثواب خير مما يجمعون (ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون)

« ٥ »

ثم عاذ الى النبي والمؤمنين وقد خالفوا رأيه فى عدم الخروج الى المشركين وقتالهم فى المدينة. وقال بعضهم (الرماة) أنما بادرنا ألى الغنيمة لانا خفنا أن يقول النبي من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم بيننا كما لم يقسم يوم بدر. وقال بعض آخر كيف نغلب ونحن مسلمون ظانا أن المسلم لا يغلب. فامره أن يعفو عنهم ولا ينقطع بسبب هذا عن مشاورتهم. وبين لهم أن النبي ما كان ليأخذ الغنيمة لنفسه ولا يقسم بينهم فمثل هذا يكون غلولا يتنزه عنه الانبياء. وخصوصا هذا النبي

الذي من الله على المؤمنين به فلا يمكن أن يجـور فيهم . ثم بين لهم ان انهزامهم يوم أحد بعد انتصارهم فى بدر وغيرها انما كان منهم . وقد اراده الله ليربيهم ويعلمهم الاعتماد على النفس وعدم الاغترار بمن لا يخلص لهم من المنافقين الذين كانوا يعتمدون عليهم . فلما طلبوهم للقتال خذلوهم . ولما قتل من قتل منهم شمتوا بهم وقالوا « لو أطاعونا ما قتـلوا قل فادرأوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقـين »

« ٦ »

ثم بعد ان فرغ من درس تلك الهزيمة ولوم الذين تسببوا فيها . أخذ يمدح الذين ثبتوا مع النبي ولم ينهزموا . فبين أنهم أرضوا الشهداء الذين هم احياء فى قبورهم فرحين بما آتاهم الله من فضله ويلطفه بأخوانهم . أذ لم يمكن المشركين منهم بل أبقى فيهم قوة بعد الهزيـمة امكنتهم بها أن يذهبوا مع النبي ألى حمراء الأسد حينما بلغه ان المشركين تجمعوا لاستئناف القتال ثانيا . فلما علموا بذلك خافوا ومضوا ألى مـكة . أما المسلمون فساروا أليهم ولم يعبأوا بمن خوفهم منهم « أنمـا ذلـكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم

مؤمنين »

(٧)

ثم أخذ يسلي النبي وينهاه أن يحزن من مسارعة المنافقين ألى الكفر وشماتة اليهود الذين كانوا يظهرون المودة للمسلمين أذ ظنوا أنهم لا يقوم لهم بعد تلك الهزيمة قائمة . فأكد له أنهم لن يضروهم بعدها . وبين انه أنما على لاعدائهم ليطغوا ثم يذيقهم عذاب مهينا . كما يتركهم يبخلون بما آتاهم الله من فضله عن أنفاقه في سبيله ليطوقوا به يوم القيامة . وانه يسمع ما يقولونه تهكما حين يؤمرون بالانفاق (أن الله فقير ونحن اغنياء) فسيكتبه لهم ويضيفه الى سيئاتهم القديمة مع انبيائهم وقتلهم لهم . ومع هذا النبى الذى يقولون له حين يدعوهم ألى الايمان أن الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسوله حتى يأتينا بقربان الخ الخ

ثم ذكر ان المسلمين سيسمعون منهم أذى كثيراً فيجب ان يقابلوه بالصبر ليكونوا من اهل العزم . وان يذكروا أنهم اخذ عليهم الميثاق ان يؤمنوا فنبذوه وراء ظهورهم فلا يصح ان ينتظروا منهم غير ذلك ولقد اشتروا بنقض هذا الميثاق ثمناً قليلا . وفرحوا بما اتوا من نقضه مع أنه لا

يمكن أن يفوتهم العذاب عليه « ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير »

الخاتمة

إن في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الباب   الآيات الى آخر السورة

لما كان بناء السورة على أن الكفار مغترون بما عندهم من مال وولد. وان المسلمين أخذوا يداخلهم هذا الغرور. ختمها بأن هنالك ماهو أهم من المال والولد. وهو العلم الذي يستفيده الانسان من النظر في خلق السموات والارض. فأنه حينما ينظر الانسان في هذا الخلق العجيب يعلم أن الله ماخلقه باطلا. فيسعد بالايمان الذي ينجيه من عذاب النار. ويستجيب لمن يدعوا اليه ولا يتكبر اويتعنت عليه. فيجازيه الله بما عنده من حسن الثواب الذي هو خير من ذلك المتاع القليل الذي يغتر به الجاهلون ثم يكون مأواهم جهنم وبئس المهاد

ثم بين أن من أهل الكتاب من نجاه الله من هذا الغرور

تخشع لله وآمن بالقرآن والكتب التى أنزلت اليه. فهذا لا يحرمه الله أيضا من الأجر. وذلك كالنجاشي الذى آمن بالنبى وعجز عن الهجرة ألى دار الاسلام ليعرف مايجب عليه بعد الايمان من الاحكام

ولما كان العلم وحده لا يكفى فى تهوين أمر الدنيا على المسلمين بل لابد لهم أن يستعينوا مع هذا بالصبر أمرهم به فقال « يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون »

سورة النساء

سميت هذه السورة بذلك لأن معظم ما ذكر فيها من الاحكام يتعلق بالنساء . وقد جاءت هذه السورة بعد سورتى البقرة وآل عمران اللتين كان يعنى فيهما بالدعوة الى الايمان وتذكر فيهما بطريق العرض الآداب والاحكام . بخلاف هذه السورة التى يعنى فيها بشرح الاحكام ويذكر فيها بطريق العرض ما كان يعنى به فى هذين السورتين مما يتعلق بدعوة المنافقين واهل الكتاب

وقد افتتحت هذه السورة بتذكير الناس بأنهم من أصل واحد، ليكون هذا تمهيدا وبراعة مطلع لما يذكر فيها من أحكام القرابة بالنسب والمصاهرة. وما يتعلق بذلك من أحكام النكاح والأرث، ولما طال الكلام في آخرها في ذكر حال المنافقين وأهل الكتاب ولم يكن هذا من مقاصد هذه السورة. عاد نختمها بذكر حكم الكلالة في آية كالتي افتتحت بها لئلا تخرج السورة عن المقصود منها: وليعلم أن ماذكر من ذلك لم يكن مقصودا بالذات بل كان لمناسبة. فيكون السياق من أول السورة الى آخرها في ذكر الاحكام، ويلتئم بهذا البدء والختام

براعة المطلع

يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا

لما كان المقصود من السورة بيان الاحكام الواجبة وغيرها، ابتدأها بالامر بالتقوى التي هي امتثال الاوامر واجتناب النواهي. ثم ذكر الناس بأنهم من اصل واحد. لان

معظم مايذكر من تلك الاحكام فى هذه السورة يتعلق بالقرابة والزوجية . ثم اعاد الامر بالتقوى تأكيدا وتمهيدا للامر بصلة الارحام الذى هو المقصود من معظم التشريع الموجود فى هذه السورة

الاحكام

وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا اموالهم ألى اموالكم أنه كان حوبا كبيرا

الآيات الى آخر السورة

أحكام اليتم والسفه

أمر بإيتاء اليتامى اموالهم وحرم على الاولياء أكل شئ منها . وقد كانوا يتزوجون اليتيمات طمعا فى أموالهم ولا يعطونهن من المهر مثل مايعطون غيرهن فحذرهم من هذا . وذكر لهم أنه لم يضيق عليهم فى نكاح النساء حتى يقصروا انفسهم على نكاح اليتيمات . بل وسع لهم فى الجمع بين الزوجات ألى أربع . فعلى من يخاف عدم القسط فى نكاح اليتيمة وطمع نفسه فى مالها ومهرها أن ينكح من يشاء من غيرها . من اللاتى لهن حق التصرف فى مهورهن . ويصح أخذ مهورهن أذا

طابت نفوسهن

ثم نهاهم أن يؤتوا السفهاء من يتامى وغيرهم أموالهم ما داموا سفهاء .وأمرهم أن يعطوها لهم أذا أنسوا منهم رشدا (فأذا دفعتم أليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا)

احكام الارث

ذكر منها هنا احكاما أولها أن النساء يرثن كما يرث الرجال .وكانوا فى الجاهلية يحرمونهن من الميراث. لانهن لا يحملن السلاح .ولا يكتسبن كما يكتسب الرجال. وثانيها أنه أذا حضر قسمة التركة او لو القربى من غير الورثة واليتامى والمساكين فلا يليق أن يحرموا من شيء يعطونه منها كما يليق بحالهم .ولو بصفة الهبة او الهدية . وثالثها أن اليتامي يرثون كما يرث الكبار. وكانوا فى الجاهلية يحرمونهم من الميراث لضعفهم كالنساء. مع أن من كان يفعل هذا مع اليتامي لا يرضى أن يفعل غيره مثله مع ذريته أذا تركهم ضعافا .فالواجب أن يتركوا مايقولونه فى حرمانهم ويقولوا غيره قولا سديدا . ولا يأكلوا ماتركه لهم آباؤهم ظلما وعدوانا

وبعد تمهيد هذه الاصول بين نصيب كل وارث على ماهو معروف ومسطور . فحد فى ذلك حدودا أنذر من يتعداها « نارا خالدا فيها وله عذاب مهين »

حكم المساحقة واللواط

بين فى حكم المساحقة أنه لا بد فى أثباته من شهادة أربع به . فأذا شهدوا تحبس المساحقة صيانة لها حتى تموت او تتوب

وفى حكم اللواط أنه الايذاء بالفعل والقول ألى أن يتوبا .

ثم بين متى تقبل التوبة من هؤلاء ومن غيرهم . وأنها لا تقبل من الذين يعملون السيئات « حتى أذا حضر احدهم الموت قال أنى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما »

ابطال ارث النساء كرها

كان الرجل اذا مات فى الجاهليـة ورث امرأته من يرث ماله . فكان يعضلها حتى يتزوجها أو يزوجها من يشاء أو تفتدى نفسها بما أخذته من مورثه . فأبطل ذلك وحرم عضل النساء من وارث أو زوج لاخذ شئ من مهورهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة . واوجب عشرتهن بالمعروف ثم بين أن المهور تدفـع فى

نظير استمتاع الرجل بالمرأة . لا التملك بها رقبتها حتى تورث أو تعضل من وارث أو زوج لترد اليهما ما أخـذته ، وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا)

محرمات النكاح

عد منها امرأة الاب والامهات والبنـات والاخوات والعمات والخالات وبنـات الاخ وبنـات الاخت والام من الرضاع والاخت من الرضـاع وأم الزوجـة وبنت الزوجـة المدخول بها وأخت الزوجة ما دامت فى العصمة وزوجة الغير الا السبايا أذا ملكن ولهن ازواج . وأحل ماوراء ذلك بعقد الزواج وحرم السفاح واتخاذ الاخدان. ثم امتن عليهم بنعمة الزواج الذى هو سنة الانبياء وأمهم من قبلهم . وبين أنه يريد به أن يتوب عليهم من الزنا واتبـاع الشهوات (يريد الله ان يخفف عنـكم وخلق الانسان ضعيفا)

تحريم التعدى على المـال والنفس

حرم أكل اموال الناس بالباطل. وأحل الكسب والتجارة وحرم قتل النفس. وأوعد من يفعل ذلك بالعذاب الشديد. وقال لمن يجتنبه (أن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم

وندخلكم مدخلا كريما)

تحريم التحاسد

حرم التحاسد وأن يتمنوا ما فضل الله به بعضهم على بعض وأرشدهم ألى ان كلا من الرجال والنساء والاقوياء والضعاف يرزق بقدر عمله وكسبه. فالواجب ترك الحسد وطلب الفضل والرزق من الله بالسعي والكسب. ثم اشار الي أن التفاضل بين العباد بالرزق ان لم يكن بكسب حادث فبكسب قديم قام به الوالدان والاقربون واخذه من اخذه منهم بطريق الارث. وهو حق من الحقوق التي لا يصح انكارها ولا حسد احد عليها (ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والاقربون والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء قديرا)

حق الرجل على المرأة

بين ان للرجل القوامة على المرأة بما فضله الله عليها في القوة والعقل. فأن كانت صالحة فبها والافله حق تأديبها فأن وقع شقاق بينهما حكم بينهما اثنان من أهلها وأهله «أن يريدا أصلاحها يوفق الله بينهما أن الله كان عليما خبيرا»

حق الله والوالدين

بين ان حق الله أن يعبد وحده وان حق الوالدين الاحسان اليهما . وكذا الأقارب واليتامى والمساكين الخ الخ. والاحسان يكون بالتواضع لهم وبذل المال لسد فاقتهم . فلا يختال عليهم ولا يبخل . وأذا أنفق فليكن انفاقه لوجه الله لا للرياء . ثم انذر من يخالف ذلك يوما يود فيه «الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا »

بعض احكام الصلاة

الصلاة حق من حقوق الله وقد ذكر من احكامها هنا انها لا تصح من سكران الخ . وكان السبب فى هذا أن بعضهم صلى وهو سكران فخرف فى القرآن . وقرأه «قل يا أيها الكافرون اعبد ما تعبدون » فحرم عليهم هنا الصلاة فى حال السكر . وأمرهم بالنظر فى حال أهل الكتاب الذين اشتروا الضلالة بالهدى ليذكر لهم أن مثل ذلك التحريف الذى وقع من بعضهم وقع من اليهود قبلهم فى كتبهم وأوقعهم فى العصيان وحال بينهم وبين الايمان بالقرآن الذى نزل مصدقا لما معهم من

الـكتب قبل تحريفها . فلولا ذلك التحريف لـكان حالهم غير الحال التي وقعوا فيهـا بسببه.

وقد مضي بسبب هذا عـلى طريق الاستطراد في ذكر بعض احوالهم وقبائحهم . فذكر منها ماشاء . ثم اوعد الذين كفروا منهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها ووعد الذين آمنوا « جنات تجري من تحتها الانهـار خالدين فيها أبدا لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا»

حق الراعي والرعية

ذكر ان حق الرعيـة على الراعي ان يرد الامانات ألى أهلها ويحكم بينهم بالعدل . وان حق الراعي عليهم ان يطيعوه كما يطيعون الله والرسول ويرجعوا اليه عنـد التنازع في أمورهم . ويـكون الحـكم بينهـم عنـد التنازع كتاب الله وسنة الرسول . ومن لا يرضى بالتحاكم أليهما يكون من المنافقين الذين يزعمون أنهم يؤمنون بما انزل الله من الـكتب والاحـكام . ثم لا يرضون بالتحاكم اليها بل يتحاكمون ألى الطاغوت الذي أمروا أن يكفروا به . فأذا أصابتهم مصيبة يرجعون الى النبي ويحلفون أنهم ماارادوا بتحاكمهم الى غيره

الا احسانا وتوفيقا . والله يعلم أنهم يبطنون خلاف مايظهرون .
ولو أنهم صدقوا وندموا حقيقة على مافعلوا لوجدوا الله توابا
رحيما . أما هذا الخداع فلا ينفعهم ولا يدخلهم فى عداد
المؤمنين . وانما ينفعهم أن يحكموا الرسول فى كل ما شجر
بينهم . وترضى نفوسهم بما يقضى به فى تنازعهم . ولو أنهم
فعلوا ذلك وهو سهل عليهم اذ لم يكلفوا بقتل نفوسهم ولا
بغيره من التكاليف الثقيلة التى كلف بها غيرهم لآتاهم الله
اجرا عظيما . وأدخلهم جنته مع الذين انعم عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.
« ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما »

فرض القتال واحكامه

أمرهم أن يأخذوا حذرهم قبل ان ينفروا ألى القتال
من الاعداء الداخليين (المنافقين) الذين يثبطون عن القتال ولا
يقاتلون. فأن اصاب المؤمنين مصيبة فرحوا . وأن اصابهم
نصر قالوا ياليتنا كنا معهم فنفوز فوزاً عظيما

ثم ذكر ما يرغبهم فى القتال من الأجر العظيم فى الآخرة
وتخليص اخوانهم المستضعفين فى مكة من أيدى ظالميهم .

وأنهم يقاتلون فى سبيل الله واعداؤهم يقاتلون فى سبيل الطاغوت فهم أولياء الشيطان ومن يتولى الشيطان كان ضعيفا

ثم حذرهم أن يكونوا كالمنافقين فى أمور أربعة — أولها خوف القتال . فأن الموت اذا جاء اجله فلا بد منه ولو كان الانسان فى بروج مشيدة — ثانيها أنهم أذا قاتلوا فان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله . وأن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك (يعنون النبى) مع أن الكل من عند الله . وما النبى الا رسول وليس له من الامر شئ (وارسلناك للناس رسولا) فمن أطاعه فقد أطاع الله . ومن تولى عنه وتشاءم به ونسب السيئة أليه فقد عصاه — ثالثها — عدم الاخلاص فى القتال وتنفيذ ما يطلب منهم فيه . فأنهم يظهرون الطاعة فى حضرة الرسول . فأذا خرجوا من عنده أضمروا خلافها والله يعلم مايضمرون ويظهر أحوالهم وخفاياهم فى كتابه كما هى لا يختلف عنها فى شئ . ولو تدبروا ذلك لعلموا انه من عند الله وأخلصوا فى طاعتهم وصدقوا فى ايمانهم — رابعها — أذاعة اسرار الجيوش فاذا جاءهم امر من الأمن او الخوف تكون المصلحة فى كتمانه وتفويضه ألى الله

والرسول أذاعوا به

وبعد أن حذرهم من هذا كله . ورغبهم فى القتال بما رغبهم فيه . امر النبي أن يقاتل فى سبيل الله لا يكلف الا نفسه وليس عليه الا ان يحرضهم على القتال فيرغبهم فيه . فأن اطاعوا فيها. والا فله ثواب تحريضهم عليه (من يشفع شفاعه حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شئ مقيتا)

احكام القتال

ذكر منها هنا احكاما اولها أنه لا يجوز قتال المسالم من الكفار . وهو الذى يحيى المسلمين ولا يعاديهم .فهذا جزاؤه أن يحيى بأحسن من تحيته . ويكف عن قتاله .ثانيها اباحة قتال المنافقين بعد تحريمه .لانه لم يعد معنى لاحتمالهم .ولا لاختلاف المسلمين فى أمرهم . بعد أن صارحوهم بالعداوة وأصبحوا لا ترجى لهم هداية .ولم يطلق تلك الاباحة اطلاقا بل قيدها بنوع من المنافقين دون انواع اخرى اقتضى الامر تأجيل اباحة قتالهم — ثالثها - تحريم قتال المؤمن وقتله الا أن يكون خطأ بأن يقتله فى الحرب من يظن أنه كافر .فيجب

عليه الدية ولا يقتل به — رابعها — وجوب التثبت في الحرب حتى لا يقتل من يسلم فيها مع من يصر على الكفر . ويقال له أنك أسلمت خوفا من السيف — خامسها — أنه لا يجوز القعود عن القتال الا لأولى الضرر — سادسها — وجوب الهجرة من دار الكفر الى دار الاسلام • ويستثنى من هذا المستضعفون من الرجال والنساء والولدان — سابعها — جواز قصر الصلاة للمجاهدين ونحوهم من المسافرين — ثامنها — جواز الصلاة بكيفية أخرى غير التي تجب في الأمن من كيفيات صلاة الخوف المعروفة

ثم ختم الكلام في أحكام القتال بمثل ما بدأه به من ترغيب المؤمنين فيه. فقال « ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فأنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون وكان الله عليما حكيما »

تحريم المحاباة

«١»

ذكر أنه يجب الحكم بين الناس بالحق لا فرق بين مسلم وغيره . وقد سرق طعمة بن أبيرق درعا ورمي بها بريئا من

اليهود وشهد بذلك قوم طعمة زورا عند النبي. فمال الى تبرئته لما كان يغلب على المسلمين فى ذلك العهد من الصدق والامانة وعلى اليهود من الكذب والخيانة . فعاتبه الله على مجادلته عن هؤلاء الخائنين المنافقين الذين يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله . ويحاولون تبرئة المذنب بشهادة الزور فى الحياة . فمن يبرئه من ذنبه يوم القيامة أمام الله . وقد كان الاولى لهم أن يتوبوا ويستغفروا الله لذنبهم بدل أن يرموا به ذلك البريء « ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وأثما مبينا » «٢»

ثم أخذ يمتن على النبي بعد أن نجاه من الجور فى الحكم الذى أراد أن يوقعه فيه أولئك المنافقون . ويبين له انه لا خير فى كثير من نجواهم لانهم لا يأتمرون فيها الا على الشر ولا ينوون فيها على فعل الخير . فلا يأمرون بصدقة ولا معروف ولا يصلحون بين الناس بل «١» يشاقون الرسول ويتبعون سبيل المشركين . فيعبدون من دون الله أناثا كاللات والعزى

«١» أن طعمة لم يكد يفتضح أمره حتى فر الى المشركين وارتد عن الإسلام فكان هذا سببا فيما ذكره هنا فى قبح الشرك وفضل الاسلام

ويتخذون الشيطان وليا فيضلهم ويمنيهم أن لا بعث ولا حساب ويأمرهم فيقطعون آذان الانعام ليقدموها قربانا للأصنام وليس الامر بأمانيهم ان لا بعث ولا حساب . ولا بأماني اهل الكتاب الذين يزعمون انه لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى . بل من يعمل سوءا يجز به في يوم الجزاء . ومن يعمل صالحا ويؤمن بدين الله الصحيح يدخله الجنة . ويجازه على كل خير عمله « ومن احسن ممن اسلم وجهه الى الله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا . ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا » .

بعض احكام النساء

ذكر في اوائل هذه السورة احكاما في يتامى النساء اللاتي كانوا ينكحونهن طمعا في اموالهن . وفي اليتامى الذين كانوا يحرمونهن من الميراث . وفي الزوجات والعدل معهن عند كراهتهن والرغبة في تزوج غيرهن . وكانت تلك العادات مستحكمة في نفوس العرب في جاهليتهم فسألوه تخفيفا في تلك الاحكام . وكان هذا منهم بعد مضي زمن نزل فيه ما نزل من الاحكام التي ذكرت في هذه السورة بعد تلك الاحكام التي

سألوه تخفيفها. فبين لهم أن الاول والثانى لا تغيير فيهما. وأن الصلح بين المرأة والزوج عند خوفها من أعراضه وتزوجه بأخرى على أن تسقط حقها فى القسم وغيره وتبقى عنده خير من التسريح والفراق وأن كان بأحسان. وان العدل الكامل الذى يشمل الميل القلبى بين الزوجات غير مستطاع. وانما الواجب العدل بينهن فى الامور الاختيارية من قسم وغيره. فأن لم ترض الزوجة بالتنازل عن حقها ولم يمكن الزوج أن يستعمل العدل المستطاع معها فليتفرقا يغن الله كلا من سعته. لأن العدل امره عظيم وصى الله به الذين أوتوا الكتاب كما وصاكم به. فأن لم تعدلوا ذهب الله بكم وأتى بمن يعدل غيركم فأياكم أن تمسكوا الزوجة مع ظلمها طمعاً فى مالها. فثواب الله خير من الدنيا وما فيها (من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعاً بصيرا)

تحريم شهادة الزور

ذكر هنا أن القيام بالعدل واجب على الرعية كما ذكر فيما تقدم أنه واجب على الراعى. فحرم عليهم شهادة الزور. وحذرهم أن تحملهم عليها قربى أو خوف من غني او رأفة علي

فقير (أن يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فأن الله كان بما تعملون خبيرا)

احكام اصولية

ذكر منها هنا — الايمان بالله — والايمان بالرسل — والايمان بالكتب المنزلة — والايمان بالملائكة — والايمان باليوم الآخر

ثم ذكر أن الناس من جهة الاعتقاد بها على قسمين أولهما المنافقون الذين لا يؤمنون بها أيمانا يقينيا ، ولا يثبتون على حال من ايمان او كفر . وقد ذكر من احوالهم فى ذبذبتهم ما شاء . ونهى المؤمنين عن الاختلاط بهم وموالاتهم وموالاة من يوالونهم من الكافرين . ثم اشار الى أنه لا يحب افشاء العيوب ولا الجهر بالسوء وأنما افشى عيوب المنافقين لان المصلحة فى افشائها ولكثرة بغيهم وظلمهم . ولهذا استثنى من ذلك افشاء عيوب الظالمين فأجازها للمؤمنين (أن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فأن الله كان عفوا قديرا)

القسم الثانى اهل كتاب وهم أما يهود يكفرون بالله

ويؤمنون ببعض الرسل والكتب دون بعض . فيكفرون بالنبي ويسألونه أن ينزل عليهم كتابا من السماء ليؤمنوا . وليس هذا منهم الا تمنتا كالتعنت الذي كانوا يأتونه مع موسى أذ يسألونه ان يريهم الله جهرة . وكتعنتهم على عيسى وزعمهم أنهم قتلوه وصلبوه . وقد حرم الله عليهم كثيرا من الطيبات عقابا لهم على هذا وعلى أخذهم الربا وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعد لهم عذابا مهينا . ثم ذكر ان العلماء الراسخين منهم يعلمون أنه النبي المبشر به في كتبهم . وأنه يوحى أليه كما أوحى ألى نوح والنبيين من بعده . فأن لم يكفهم ذلك في الايمان به فيكفي أن الله وملائكته يشهدون به . وليس لمن يكفر بعد هذا الا عذاب جهنم وكان ذلك على الله يسيرا « يأيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وان تكفروا فأن لله ما في السموات والارض وكان الله عليما حكيما »

واما نصارى غلوا في دينهم وقالوا أن المسيح أله مع أنه لن يستنكف أن يكون عبد الله . وقد جاءهم القرآن بنور التوحيد فضلوا بعدم الاهتداء به (فأما الذين آمنوا

بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم أليه صراطا مستقيما .

حكم الكلالة

الكلالة من الوارثين هم الحواشى الذين يدلون ألى الميت بواسطة الوالدين . وقد بين فى أحكام الارث السابقة نصيب الكلالة اذا كانوا أخوة لام . واخر بيان نصيب الكلالة اذا كانوا اخوة من العصب الى هنا حتى استفتوا فيه . فأفتاهم بهذه الآية التى ختمت بها هذه السورة وانتهت بها أحكامها فقال (يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة أن امرؤ هالك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ماترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فأن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وأن كانوا أخوة رجالا ونساء افللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شئ عليم)

سورة المائدة

سميت هذه السورة بهذا الاسم لانه قد ذكر فيها حديث المائدة التى أنزلت من السماء على عيسى . وهو اهم شئ يمكن ان يميزها عن غيرها . وقد نزلت هذه السورة بعد أن

نقض أهل الكتاب من يهود المدينة وغيرهم العهود التي
كانت بين النبي وبينهم . فبعضهم جار به كبني قريظة وبني
قينقاع . وبعضهم تآمر على قتله كبني النضير . وبعضهم لم يرض
بحكمه في حد الزنا وغيره وحاول أن يغشه . وكان لهم في حربهم
وتآمرهم مساعدون من المنافقين يتولونهم ويقولون نخشى أن
تصيبنا دائرة . فجاءت هذه السورة وفي أولها أمر المؤمنين
بالوفاء بالعهود على اختلاف أشكالها . سواء أكانت بين الله
والعباد أم بين العباد بعضهم مع بعض . ثم بينت أن نقض
العهود معروف في أهل الكتاب مع كل الانبياء الذين بعثوا
اليهم . ثم جاء فيها نهي النبي عن الحزن لنقضهم العهد الذي كان
بينهم وبينه وانحياز فريق من المنافقين اليهم آثروا الكفر على
الايمان . ثم امره أن ينقض العهد من جانبه كما نقضوه . وأن
يبلغ ما أنزل اليه في ذلك ولا يخاف من قتالهم فالله يعصمه منهم

فهذا هو المقصود بالذات من هذه السورة . وقد ذكر
في أولها بعد أمر المؤمنين بالوفاء بالعقود أن الله أحل لهم بهيمة
الانعام على سبيل الامتنان ليكون هذا باعثا لهم على الوفاء بها
وقد علموا أن بني اسرائيل لم يحرم عليهم من الطيبات ما حرم

عليهم الا لنقضهم المواثيق التى أخذت عليهم. وقد جر هذا الى الكلام على احكام الاطعمة على سبيل الاستطراد. وعلى قدر الغرض الذى ذكرت لاجله. ثم كملت أحكامها فى آخر السورة حينما تم الكلام فيها على المقصود بالذات منها

ثم ختمت السورة بذكر أحوال يوم القيامة ومايكون فيه من جمع الرسل وسؤالهم عما أحدثه أتباعهم من بعدهم. وجوابهم بأنهم لم يبلغوهم الا ما امروا به. فهم الذين غيروا فيه وبدلوا بعد وفاتهم. وهنالك يفوض الرسل امر عذابهم والعفو عنهم الى ربهم فيجيبهم الله بان هذا يوم الصدق والوفاء بالعهد. ويعود أذا السياق الى ما كان عليه قبل الكلام على تلك الاحكام. ويتناسب البدء والختام

وبهذا كله ينحصر الكلام فى هذه السورة فى ثلاثة مقاصد وخاتمة

المقصد الاول

يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الانعام الا مايتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم ان الله يحكم مايريد الآيات الى قوله تعالى

يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون

« ١ »

أمرهم بالوفاء بالعقود شكراً لله على ما أحل لهم من بهيمة الانعام الا فى حالين . أولهما سيأتى . والثانى ان يكونوا محرمين فلا يحل لهم الصيد كما لا يحل لهم أن يحلوا شعائر الحرم ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام . فاذا حلوا جاز لهم الصيد . ثم فصل ما حرم عليهم فى الحال الاول من الميتة والدم وغيرهما . وذكر أنه أحل لهم الطيبات وطعام اهل الكتاب كما أحل لهم نساءهم اذا آتوهن أجورهن (محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان) الآية

٢

ثم أمرهم أن يتطهروا قبل أن يقوموا الى الصلاة فاذا قاموا اليها ذكروا تلك المواثيق والعقود التى أخذت عليهم . فهو هنا يأمرهم بذكرها فى كل صلاة لئلا ينسوها بعد أن أمرهم هناك بالوفاء بها مطلقا . ويشير الى ان هذا هو

المقصود من فرض الصلاة على العباد

ثم امرهم ان يكونوا قواميز لله بالقسط وان يكون رائدهم العدل فى معاملتهم مع العباد • ويريد بهذا ارشادهم الى امر جامع فيما امروا به من الوفاء بالعهود . وان ذلك يكون بالقيام لله بحق العبودية وباستعمال العدل مع الاصدقاء والاعداء

ثم تخلص الى ذكر ما كان من اليهود وغيرهم من نقض عهود المسلمين وان الله كف اذاهم عنهم بفضل محافظتهم عليها . وامرهم ان يشكروا الله على ذلك وان يتوكلوا عليه ليحفظهم منهم (وعلى الله فليتوكل المؤمنون)

المقصد الثاني

(ولقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيباً وقال الله انى معكم) الآية

الآيات الى قوله تعالى

والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم

لما تخلص فيما تقدم الى ذكر نقض اليهود لما كان بينهم وبين المسلمين من عهود • وكان هذا هو السبب فى نزول هذه

السورة. انتقل الى سياق طويل ينحصر ماجاء فيه فى اربعة امور

اولها

فى بيان ان العصيان ونقض العهود معروف فى اهل الكتاب من قديم الزمان . وقد ذكر فى اثبات ذلك وقائع اولها انه اخذ الميثاق على بني اسرائيل ان يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويؤمنوا بالله ورسوله . وبعث منهم اثنى عشر كفيلا بالوفاء بذلك العهد . ومع هذا نقضوه ونسوا كثيراً مما انزل الله اليهم

ثانيها ان النصارى اخذ عليهم مثل ذلك العهد فنقضوه ونسوا كثيراً مما انزل الله اليهم ايضاً . وقد ارسل الله اليهم رسولا يبين لهم كثيراً مما يخفونه من كتبهم . ويرد على النصارى قولهم ان الله هو المسيح ابن مريم . وعلى اليهود والنصارى قولهم نحن ابناء الله واحباؤه . ويبين لهم الدين الصحيح بعد انقطاع الرسل عنهم لئلا يكون لهم عذر فى بقائهم على ما احدثوه بعد انبيائهم

ثالثها ان الله وعدهم ان يعطيهم الارض المقدسة واخذ على نفسه بذلك ميثاقا مع أبيهم ابراهيم . ثم بعث اليهم موسى ليأخذ لهم تلك الارض من الكنعانيين الذين كانوا

بها: فأبوا أن يسيروا معه لقتالهم. ونسوا أن الله عهد بها اليهم

رابعها أن الله حرم قتل النفس والفساد في الارض من يوم أن قتل قابيل هابيل. واخذ على بني اسرائيل الميثاق بذلك فنقضوه وأسرفوا في القتل والفساد في الارض وحاربوا الله ورسوله. وهؤلاء جزاؤهم أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع ايديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض. ثم حذر للمؤمنين من الوقوع في هذا الفساد وأمرهم بتقوى الله ✦ وأن يعاقبوا على السرقة وهي نوع من ذلك الفساد بقطع الايدي. وبين لهم أن من تاب يتوب الله عليه وينجيه من العذاب برحمته وقدرته (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير)

ثانيها

في تسلية النبي على مسارعتهم في الكفر بعد نقضهم ما كان بينه وبينهم من عهد. وبيان أنهم كانوا يريدون من النبي أن يوافقهم على ما حرفوه من كتبهم وأن يحكم بينهم على وفق اهوائهم ولو كان على خلاف ما أنزل عليهم في شرائعهم. فقد تحاكموا أليه في زانيين ليحكم عليهما بغير الرجم الذي أنزل

عليهم فى التـوراة ٠وفي حكم الدية وتفضيلهم بنى النضير على بنى قريظة ليحكم لهم بخلاف ما كتب عليهم فيها من أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالانف والأذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص ٠ وقد جاء الانجيل بعد التوراة مصدقا لاحكامها ٠ وجاء القرآن بعدهما مهيمنـا عليهما بحكم بتحريف ما حرفوه منهما ويأمرهم بالعمل بمـا بقى على أصله من حكم الرجم والدية وغيره ٠ ولكنهم يعرضون عن ذلك ويبغون حكم الجاهلية المبنى على الهوى ومعامـلة القوى بخلاف معاملة الضعيف (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون)

ثالثها

فى بيان أن من ينقض عهده مع النبي يجب على المسلمين أن ينقضوا عهودهم معه ٠ فأنه لمـا حاربت اليهود رسول الله تشبث بحلفهم المنافقون وقالوا نخشى أن تصيبنـا دائرة وأن تدول الدولة لهم فننتفع بحلفهم ٠ فعسى الله أن يفتح على المسلمين ليخيب رجاؤهم ويندموا على تشبثهم بهم وتحبـط أعمـالهم فيصبحوا خاسرين ٠ ومن يتولى الله ورسوله فهم

الغالبون . ثم ذكر من قبائح اليهود مالا يصح معه للمسلمين ان يتخذوا منهم حلفاء أو اولياء . فمن ذلك أنهم يتخذون دينهم هزوا ولعبا وينقمون منهم أنهم آمنوا بالله وما انزل اليهم والى من قبلهم . وينسون اعمالهم السيئة التي استحقوا بها غضب الله . ومن ذلك أن منهم منافقون يظهرون الايمان ويتجسسون لقومهم . ومنهم كثير يسارعون فى الاثم والعدوان ويأكلون السحت ولا ينهاهم عن ذلك ربانيوهم وأحبارهم الخ الخ ولو انهم تركوا تلك القبائح لغفرناها لهم نعم أن منهم من تركها ولكنه قليل بجانب المصر عليها (منهم أمه مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون)

رابعها

في أمر النبي بنقض عهدهم كما نقضوه وتبليغ ما أمر به فى ذلك . والله يعصمه منهم وينصره في حربهم . وقد أمره ان يخبرهم بأنهم ليسوا على شئ من العهد الذى كان بينه وبينهم . وانه لا يقبل منهم بعد هذا الا أن يقيموا التوراة والانجيل ويؤمنوا بالقرآن الذى أنزل أليهم والى غيرهم ولا يفرقوا بين الثلاثة فيؤمنوا ببعض ويكفروا ببعض . فأن

عملوا ذلك فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . ثم ذكر دليلين على عدم اقامتهم للتوراة والانجيل أولهما أن بنى اسرائيل قد اخذ عليهم الميثاق أن يؤمنوا بكل رسول يأتيهم من ربهم ولكنهم كانوا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم يكذبونه أو يقتلونه . فجازاهم الله على ذلك بالقتل والتخريب وغير ذلك من الفتن والشدائد كتسليط الامم عليهم مرة بعد أخرى . أما النصارى فكفروا وقالوا أن الله هو المسيح بن مريم وثالث ثلاثة (الأب والابن وروح القدس)

فكل من الفريقين قد غلا فى دينه واتبع أهواء قوم قد ضلوا وهم رؤساءهم الذين اتخذوهم أربابا يشرعون لهم ما لم يأذن به الله . فحق عليهم بذلك لعنة داود وعيسى وبما عصوا وكانوا يعتدون

الثانى انهم يتولون مشركى العرب ويعادون المؤمنين الذين هم أقرب اليهم منهم . ولو كانوا يؤمنون بالله ويقيمون التوراة والانجيل ما اتخذوهم أولياء واتخذوا المؤمنين اعداء . نعم أن النصارى لا يعادونهم كاليهود . فهم أقرب اليهم مودة منهم ومنهم قسيسون ورهبان اذا سمعوا ما أنزل الى الرسول

فاضت اعينهم من الدمع . وقالوا ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين فأثابهم الله على ذلك ثواب المحسنين (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم)

المقصد الثالث

يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا أن الله لا يحب المعتدين

الآيات الى قوله تعالى

ذلك ادنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد ايمان بعد ايمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدى القوم الفاسقين (١)

كل فى هذا المقصد أحكام الاطعمة والصيد وذكر فى ذيلها حكما آخر نزل معها فقرن بها وهو حكم الشهادة فى الوصية . وقد ذكر فى أول السورة أنه احل لهم الطيبات فنهاهم هنا أن يحرموا شيئا منها على أنفسهم . وذلك قد يكون من غير التزام بيمين وقد يكون به فيكون لغوا لا يؤاخذ الله فى تركه والتكفير عنه . ولكن يؤاخذ فى الاقامة عليه وتحريم الحلال به . ثم ذكر ما حرمه من الاطعمة وهو

الخمر فى ضمن محرمات اخرى من نوعه . ونفى الاثم عن الذين شربوها فيما مضى فقال (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا أذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين)

(٢)

ثم ذكر تحريم الصيد فى حال الاحرام وقد ذكره فيما مضى تمهيد البيان حكم من يقتله متعمدا وهو وجوب مثل ما قتل النعم هديا بالغ الكعبة . ولبيان ان المحرم هو صيد البر لا صيد البحر . ثم ذكر أن الهدى أنما وجب الى الكعبة لان الله أنما اوجب الحج اليها فى الشهر الحرام ليحصل لاهلها مايقوم بمعاشهم . فقضى بذلك علم الله بنظام خلقه فى ارضه وسمائه وعظيم رأفته بعباده . فليحذر من يخالف ذلك بترويع حجاج بيته ومخالفة احكام نسكه من شديد عقابه . وما على الرسول الا البلاغ . والله يعلم كل الاعمال ظاهرها وخفيها . ولا يستوى عنده الخبيث والطيب منها

ثم اشار ألى ان الحج انما يجب فى العمر مرة وفى هذا كفاية لاهل ذلك البيت . وقد سأل قوم النبى حين وجب الحج

عليهم أكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالوها ثلاثا ثم قال لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم .فلا تسألوا عن اشياء أن تبدلكم تسؤكم

ثم ابطل هدايا الاصنام من البحيرة والسائبة وغيرهما من بدع اهل الشرك الذين يفترون على الله الكذب وأذا قال لهم المؤمنون تعالوا الى ما أنزل الله اعرضوا وقالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا (يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون) (٣)

ثم ذكر حكم الشهادة على الوصية وأنه يكفى فيها اثنان من المسلمين . فأن كان الموصى مسافرا ولم يجد مسلما أشهد اثنين من غيرهم . ثم اكد فى الشهادة على الوصية بما اكد به ليأتوا بها على وجهها (او يخافوا أن ترد ايمان بعد ايمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدى القوم الفاسقين)

الخاتمة

يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا أنك انت علام الغيوب

الآيات الى آخر السورة

ذكر سؤال الرسل وجوابهم بالاجمال. ثم بين بالتفصيل سؤال واحد منهم وهو عيسى وجوابه عنه . فذكره بنعمته عليه أذ أيده بمعجزات كثيرة . وأذ سأله الحواريون أن ينزل عليهم مائدة من السماء فأنزلها عليهم . ثم سأله أأنت قلت بعد هذا للناس اتخذونى وأمي ألهين من دون الله. فتبرأ من هذا وقال ما قلت لهم الا ما أمرتني به ان اعبدوا الله ربى وربكم فكذبوا على بعد ان توفيتنى . فأن تعذبهم على هذا فهم عبادك . وان تغفر لهم فأنك انت العزيز الحكيم . فقال الله هذا يوم لا ينفع فيه الا الصدق والوفاء بالعهد . فيجازى عليهما بما لا يقدر عليه غير الله تعالى (لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شئ قدير)

سورة الانعام

سميت هذه السورة بذلك لانه فصل فيها حكم الانعام من الابل والبقر والضأن والمعز تفصيلا لم يشاركها فيه غيرها . وقد نزلت في محاجة المشركين فأخرت عن السور

الاربع السابقة التى كانت المحاجة فيهامع أهل الكتاب وامرهم
اهم من امر المشركين . ولما كان المشركون عبدة اصنام وكان
الجدال معهم في اثبات التوحيد والنبوة ذكر فى اولها ان
الذي يستحق الحمد هو الله دون أصنامهم . وأيد ذلك بما
ايده به ليكون هذا بمثابة أعلان عن المقصود منها من اول الامر

والسورة كلها سياق واحد فى اثبات هذين الامرين
ومحاجة المشركين فيهما حتى قال بعضهم انها كلها نزلت
دفعة واحدة. ولكننا بعد البحث وجدنا انها تنقسم ألى قسمين
أولهما فى اثبات هذين الامرين. وثانيهما فى أبطال احكام فرعية
ابتدعوها حين تركوا التوحيد ونسوا ملة ابراهيم. وأثبات
حكام سواها تلتئم معها . وأن لها مقدمة فى اثبات هذين
الامرين قبل البدء فى محاجتهم فيها. وخاتمة فى ترغيبهم
فى ذلك الدين ببيان أن الغرض منه رفع شأنهم أدبيا
ومادياً. فالاول باعطائهم كتابا كطائفتي اليهود والنصارى
يرجع بهم الى الحنيفية السمحة ملة ابيهم ابراهيم. والثانى بجعلهم
خلائف الارض واعطائهم ملك الامم التى صارت غير صالحة
لخلافة الله فيها . فهذه اربعة اقسام مقدمة ومقصدان وخاتمة

المقدمة

الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون

الآيات الى قوله تعالى

ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا أن هذا الا سحر مبين

استدل علي الوحدانية وتفرد الله بالحمد بخلق السموات والارض والظلمات والنور . ثم بخلق الانسان من طين وعلمه بما فى السموات والارض وبما يعمله الانسان فى السر والجهر وما يكسبه من خير أو شر

ثم اثبت النبوة بما أنزله من الآيات التى كذبوا بها استكبارا وعنادا ولم يخافوا ان يهلكوا كما اهلك من قبلهم من الامم الذين كذبوا أنبياءهم . بل لجوا فى عنادهم حتى لو نزل عليهم كتاب فى قرطاس فلمسوه بايديهم (لقال الذين كفروا أن هذا الا سحر مبين)

المقصد الاول

وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لاينظرون الآيات الى قوله تعالى
أن ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين

(١)

يدور السياق فى هذا المقصد على محاجة المشركين فى هذين الامرين. فيذكر مايقولونه ترويجا لشركهم ويرد عليه ثم يذكر غيره ويرد عامه وهكذا

فأول ماقالوه انهم اقترحوا أن ينزل عليه ملك يرونه ويؤيده فيما جاء به من التوحيد والنبوة. وقد أجابهم عن هذا بجوابين أولهما أنه لو أنزل عليهم ملك ولم يؤمنوا لا هلكوا من غير تأخير. وقد أراد الله لهم خلاف ذلك وعلم أنهم سيؤمنون بعد طول العناد ويكون من شأنهم فى الارض مايكون. وثانيهما أنه لو أنزل ملك لكان فى صورة البشر ليمكنهم رؤيته وسماع كلامه. وحينئذ لا يفهمون الا أنه بشر ويعودون الى اقتراح مااقترحوه. ثم ايد ماقاله من انهم اذا لم يؤمنوا بعد نزول الملك يهلكوا بما جرت به سنة الله مع الامم

السالفة الذين أهلكهم الله بعد نزول الآيات التى اقترحوها على أنبيائهم ولم يؤمنوا بها (قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) «٢»

ثم اخذ بعد أن ذكر أنه لا سبيل ألى ما اقترحوه يبين لهم الآيات الكونية على التوحيد مما يغنى النظر فيه عن تلك الآيات التى اقترحوها . فذكر أن ما فى السموات والارض وما سكن فى الليل والنهار لا يمكن أن يكون لغير الله من أصنامهم وكذلك خلق السموات والارض وأطعام من فيها من خلقه . ثم ذكر أنه بعد هذا لا يمكن ان يشرك مثلهم لأنه مأمور بالاسلام ويخاف ان عصى ربه من عذاب لا كاشف له غيره (وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير)

«٣»

ثم أخذ يثبت النبوة بعد التوحيد بشهادة الله الذى انزل عليه القرآن معجزة له لينذرهم به ويبطل ما اتخذوه مع الله من ألهة غيره . وبشهادة اهل الكتاب الذين يعرفونه كما يعرفون ابناءهم . ولكن المشركين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون ويفترون على الله الكذب من الولد والشريك

ويكذبون بآياته التى انزلها على نبيه • فويل لهم من يوم يتبرؤون فيه من شركائهم . ولا يجدون فيه غير الله أمامهم (انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون)

« ٤ »

ثم بين السبب فى عدم تأثير ذلك الكتاب فيهم وهو انهم لا يفقهونه ولا تقوي آذانهم على سماعه فينهون الناس عنه ويبتعدون عنه ويهلكون انفسهم بهذا وما يشعرون • فسيرون من العذاب ما يندمون معه على تكذيبهم له وتضييعهم الحياة فى اللذات والشهوات (وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون

« ٥ »

ثم أخذ يسلى النبى على تكذيبهم له ويعده بالنصر الذى كان لرسله حين كذبوا فصبروا . ويبين له أنه لا سبيل الى الآيات التى يقترحونها لانه علم أنهم لا يستجيبون اليها (انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون

اقتراح آية ثانية «١»

ثم ذكر أنهم اقترحوا آية ثانية أن ينزل عليهم آية عذاب به

كالتي انزلت على عاد وغيرهم . وهذا بعد ان علموا مما سبق أنه لا ينزل عليهم ملكا لانه لا يريد هلاكهم. فأطمعهم ذلك في هذا الطلب الذي علموا أنهم لا يجابون اليه وقد رد عليهم بأن الله قادر على تلك الآية وأن لم يرد أن يستأصلهم . وأن عنده من الخلق في الارض والهواء والسماء أمم كثيرة لا يذكر في كثرتها عددهم . ولا يؤثر فيها هلاكهم . ولكنهم لا يعقلون هذا لانهم كما قال (صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم)

«٢»

ثم ذكر اجوبة أخري على ذلك أولها أن العذاب الذي يطلبونه أذا جاءهم فمن يدعون لكشفه غير الله . واذا كان هذا كذلك فلم لا يؤمنون به من غير أن يطلبوا ذلك الطلب الذي يضربهم . على ان اىما قديمة طلبت ما يطلبونه فلما أتاهم كذبوا به وقست قلوبهم فقطع الله دابرهم الخ الخ

ثانيها أنه لم يقل لهم أنه عنده خزائن الله ولا أنه ملك حتى يقترحوا عليه تلك الاقتراحات . وما هو الا رسول أتاهم بكتاب من الله لينذرهم به الخ الخ

ثالثها أنهم ليس لهم فيما يعبدون من دون الله بينة عليه بل أهواء لا يصح الارتكان عليها . ولا طلب آيات لا زالتها من نفوسهم . أما هو فهو على بنية من ربه وليس عنده العذاب الذي يستعجلون به ولو كان عنده لقضى الامر بينه وبينهم باهلاكهم . لان الله يعلم أنهم لا يؤمنون ولو جاءهم ذلك العذاب . وليس بغريب أن يعلم ذلك وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها غيره الخ الخ

رابعها أن العذاب الذي يطلبونه سيأتيهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم حين يقضى الله بنصر المؤمنين عليهم وسيأتى وقت ذلك القدر . ولكل نبأ مستقر . فأن كذبوا بهذا وخاضوا فى آياتنا بالباطل فأعرض عنهم الخ الخ

خامسها أن تعنتهم عليه بتلك الآيات لا يمكن أن يرده على عقبه بعد أن هداه الله فيعبد من اصنامهم ما لا ينفع ولا يضر . وأن له بأبيهم ابراهيم أسوة اذ وقف مع قومه هذا الموقف بعد أن هداه الله اليه . وحاجوه كما يحاجونه فقال أتحاجونى فى الله وقد هدان ولا اخاف ما تشركون به . فرفع الله درجته وبارك فى ذريته وجعل منهم الانبياء

والصالحين . وهداهم الى ذلك الدين الذى يدعوهم أليه ولا يسألهم أجرا عليه (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا أن هو الا ذكرى للعالمين)

افتراء ثالث

ثم ذكر انهم انكروا رسالة اولئك الانبياء حينما احتج بهم عليهم . وقالوا ما انزل الله على بشر من شيء . فرد عليهم بأنه اذا صح ذلك فمن انزل التوراة على موسى وانتم لا تنكرون ان الله انزلها عليه . بدليل رجوعكم ألى اليهود في امرى واعترافكم بأنهم أهل الكتاب العالمون بأخبار الانبياء . فما أحراكم أن تؤمنوا بي وقد بعثت لاعلمكم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم . وجئتكم بكتاب مصدق للتوراة التي تستفتون اليهود فيها . واعلموا أيها المشركون انه لا يوجد اظلم ممن يفترى على الله هذا الافتراء . فمن ينكر وحي الانبياء كمن يدعي الوحي كذبا وكمن يكذب بما انزل الله ويزعم ان في امكانه ان ينزل مثله كلهم في الظلم سواء . ولو يرى الظالمون ما أعد لهم من عذاب الهون في يوم لا يجدون فيه شفيعا من الشركاء الذين اتخذوهم من دون الله لتركوا هذا العناد وما افتروا هذه

الافتراء . وكيف يكون لله شفيع أو شريك وهو فالق الحب والنوى . ويخرج الحي من الميت والميت من الحي الخ الخ .
وقد انتهى في هذا ألى تذكير النبي بأن اشراكهم بمشيئة الله ليهون الامر عليه . وألى نهى المسلمين عن أن يسبوا آلهتهم (فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون)

عود ألى اقتراح الآيات

ولما تبين لهم أن تعنتهم ظاهر في الانكار على جميع الانبياء عادوا ألي ما كانوا عليه من الانكار على نبيهم وحده . وألى اقتراح الآيات عليه ليجدوا من عدم أجابتهم اليها ما يخفي شيئا من تعنتهم . واجتهدوا هذه المرة في أن لا يظهروا بمظهر المتعنت فأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها . وقد اغتر بعض المسلمين بهذا فتمنى أن يجيبهم ألى ما يطلبون . فرد عليهم بأن الله يعلم مع هذا أنه اذا اجابهم لا يؤمنون . وما كانوا ليؤمنوا ألا ان يشاء الله ولو أجيبوا ألى اكثر مما يطلبون فأنزلت اليهم الملائكة وكلمهم الموتي وحشر عليهم كل شيء قبلا . وأنما تلك عادة الجاحدين

قديما وحديثا يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول ليؤثروا به على ضعاف الايمان. أما المؤمنون حقا فيعلمون أنه لا فائدة فى اظهار الآيات بعد أن حكم الله بين النبي وبينهم، وأيده بالقرآن الذى يعلم أهل الكتاب أنه الحق من ربهم. وليس لهؤلاء الجاحدين بعد هذا الا تخرصات وظنون كتلك الاقترآآت والاقتراحات التى لا سبيل الى اجابتهم اليها. فيجب الرضا بما قضى الله فيها وأن لا يطيع النبي فيها أحدا (ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)

المقصد الثاني

فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين

الآيات الى قوله تعالى

ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هي احسن حتى يبلغ اشده — الآية (١)

كان اهل الجاهلية يحللون الميتة ويقولون ما قتله الله اولى بالحل مما قتله الانسان. فأبطل الله هذا واحل ماذكر اسم الله عليه وهو المذبوح. وحرم ما لم يذكر اسم الله عليه

وهو الميتة . ونهى المسلمين عن الاستماع لهذا القول الفاسد الذي يجادلهم با المشركون وهم فى ظلام دامس من ضلالهم الذي يزين لهم ما يعملون . ويحسن لهم أن يمكروا بمثل هذا ليخدعوا المسلمين . كما يمكرون اذا جاءتهم آية فيقولو لن نؤمن حتى ينزل علينا الوحى كما انزل على رسل الله . وهكذا من يرد الله هدايته يشرح صدره للاسلام . ومن يرد ضلاله يجعله يمكر ويجرى وراء الشبه والضلالات . فيضيق صدره ويكون كأنما يصعد فى السماء . وكذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون . ويهدى من يتذكر اذا ذكر الى صراطه المستقيم . ويجعل لهم دار السلام جزاء بما كانوا يعملون أما اعداؤهم من الجن والانس فيعاقبهم فى دار الجحيم . كما يعاقبهم فى الدنيا فيذهبهم ويستخلف من بعدهم قوما آخرين (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم أنى عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار أنه لا يفلح الظالمون)

(٢)

والثانى مما ابطله الله من أحكامهم أفرازهم من حروثهم وانعامهم نصيبا لله ونصيبا لاصنامهم . فاذا زاد نصيب

الاصنام ولم يزد نصيب الله تركوا نصيبها لها وقالوا لو شاء لزكى نصيب نفسه ٠وأن زاد نصيبه ولم يزد نصيبها قالوا لا بد لها من نفقة فأخذوا من نصيبه واعطوا لسدنتها

والثالث قتلهم أولادهم خوفا من الفقر — والرابع — قسمتهم الانعام والحروث الى محجورة للآلهة لا يطعمها الا سدنتها. والى انعام حرمت ظهورها وهي البحائر والسوائب والحوامى ٠ والى أنعام لايذكرون اسم الله عليها عند ذبحها بل يذكرون اصنامهم

والخامس تحريمهم ما في بطون هذه الانعام على زوجاتهم أن نزل حيا ٠ فأن نزل ميتا اشترك فيه الذكور والاناث

فكل هذه امور باطلة ابتدعها أهل الجاهلية (افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) (٣)

ثم ذكر أنه هو الذى انشأ الحروث وأباحها للناس بشرط أن يخرجوا منها حق الله للفقراء عند حصادها ٠ وأنه هو الذى خلق الانعام وأباحها للناس ألا أن تكون ميتة او دما مسفوحا أو فسقا أهل به لغير الله . وأنه انما حرم على اليهود ما حرم منها جزاء بغيهم . فأن بغي هؤلاء وكذبوا

ما جاء به النبي من تلك الاحكام (فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين

(٤)

ثم ذكر أنهم وقد ظهر افتراؤهم على الله في تحريم ما حرموه سيقولون لو شاء الله ما اشركنا ولا حرمنا تلك الاشياء . فهذا التحريم اذا منه وبأرادته ونحن مجبورون عليه . ورد عليهم بان هذا القول ليس عندهم به علم ولا دليل . ولا يفيد ان الله حرم تلك الاشياء وأنما يفيده أن يأتوا بمن يشهد ان الله حرمها . وأنى لهم بمن يشهد لهم بذلك . لان الله لم يحرم علينا مثل هذا وأنما حرم الشرك وقتل الاولاد الخ ووصانا بذلك فقال (وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون)

الخاتمه

وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون الآيات الى آخر السورة

« ١ »

لما فرغ من بيان الاصول الدينية والفروع التي تقدمت

ذكر لهم ان هذا هو الصراط المستقيم الذي يجب عليهم اتباعه. ثم اخبرهم ان الله انزل التوراة على موسى فيها تفصيل كل شيء وانزل عليهم القرآن ليقطع عذرهم فى الاستمرار على شركهم ولئلا يقولوا يوم القيامة أنا لم ينزل علينا كتاب بلغتنا وأنما انزل على طائفتين من قبلنا بلغتهما فلم يمكنا درسه . فالذين يكذبون بذلك القرآن بعد هذا يكونون أظلم خلق الله . ولا ينتظر ان يصدقوا بشيء بعده الا أن تأتيهم الملائكة أو عذاب الله يوم القيامة فلا ينفعهم ايمانهم ولا ينجيهم من عذابهم بل يحاسبون على ما قدموه حسابا تكافأ فيه الحسنة بعشر امثالها (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون)

« ٢ »

ثم ذكر لهم أن هذا الصراط المستقيم هو دين أبيهم ابراهيم دين التوحيد واخلاص العبادة لله الذى لا إله غيره ولا تزر عنده وازرة وزر أخرى بل يحشرهم ويجازى كل واحد على عمله . وأن الله لم يخترهم لهذا الدين الا ليجعلهم خلائف الارض دون سائر الامم . فان آمنوا به كانت لهم تلك الخلافة فى الارض . وغفر لهم ماقدموه من شرك .

وان لم يؤمنوا عاجلهم الله بالعقاب واستخلف قوما آخرين وهذا هو الابتلاء فى قوله تعالى (ليبلوكم الله فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم)

سورة الاعراف

سميت هذه السورة بذلك لان حديث الاعراف الذى ذكر فيها هو ما يمكن أن تمتاز به عن غيرها. ويقصد منها مايقصد بسورة الانعام من دعوة المشركين الى الايمان الا أن سورة الانعام عني فيها غالبا بأخذهم بالحجة والبرهان. وهذه عنى فيها غالبا بأخذهم بالترغيب والترهيب. فلهذا جاء معظمها فى ذكر يوم القيامة وما أعد فيه للطائعين والعاصين. وفى حكاية أخبار الاولين مع أنبيائهم وما ابتلاهم الله من آيات العذاب جزاء عصيانهم. ولما كان الاقناع بالبرهان مقدما على الاقناع بالترغيب والترهيب أخرت السورة التى عنى فيها بالامر الثانى عن التي عني فيها بالامر الاول وأيضاً فهذه السورة قد فصل فيها ما أجمل فى أول سورة الانعام من أخبار القرون الاولى التى أهلكها الله على تكذيبها برسلها. ومرتبة التفصيل بعد الاجمال. والسورة كلها سياق واحد فى

ذلك الغرض الا أنه يمكن تقسيمها الى ثلاثة أقسام . أولها في تحذيرهم اجمالا مما حصل للامم السابقة التى عصت أنبياءها من عذاب الدنيا والاخرة . وترغيبهم في الايمان بما ذكره من وسائل الترغيب . وثانيها في تفصيل ما حصل لتلك الامم مع أنبيائها أمة أمة . وثالثها في أن ما حصل لتلك الامم سيحصل مثله لهؤلاء المشركين وأن الله يمهلهم ويستدرجهم من حيث لا يعلمون

القسم الاول

المص كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين)

الآيات الى قوله تعالى

والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون .

لما كانت هذه السورة لا تشتمل الا على وجوه من التحذير والترغيب ابتدأها بما يشير الى هذا الغرض من اول الامر كبراعة مطلع لها . فذكر أنه انزل الكتاب للتحذير

بالتذكير. ونهي النبي أن يضيق صدره بذلك الامر الهين عليه.
ثم أمرهم باتباع ما أنزل اليهم وذكر من التحذير والترغيب
وجوها أولها أن الله جرت سنته فيمن لا يجيب دعوة الانبياء
أن يهلكهم ببأسه في الدنيا ثم يحشرهم اليه فيسألهم سؤال
عارف عما فعلوه مع أنبيائهم. ويجازيهم بالقسطاس المستقيم
على كل صغيرة وكبيرة منه

ثانيها . ان الله مكن لهم في الارض وجعل لهم فيها
مايعيشون به وهذا يوجب عليهم أن يشكروه على ذلك
باتباع رسوله .

ثالثها ان الله أكرمهم بأن جعلهم من نسل آدم وهو
أكرم خلق الله عليه . ثم حكى من سجود الملائكة له ومن
طرد ابليس من جنته بسبب امتناعه منه ومن احتياله في
إخراجه منها كما أخرج بسببه مايؤيد عظم منزلته عند ربه

رابعها . ان الله جعل لهم لباساً يوارون به سوآتهم ولباساً
يتزينون به بعد أن أخرج أباهم آدم من الجنة لا يجد مايستر به
عورته الا ورق الشجر وهذا أيضاً يوجب عليهم طاعته
بطاعة رسوله

خامسها ان الله أخرج آدم من الجنة بفتنة الشيطان مع ماله من المنزلة عنده فمن يعص رسوله ويتبع الشيطان فى تزيين العصيان والفواحش له بمثل ان الآباء كانوا يعملونها وأن الله أمر بها مع أن الله لا يأمر بالفحشاء وانما يأمر بالقسط يطرد من رحمة الله وتحق عليه كلمة العذاب

سادسها ان الله أحل لهم أن يأخذوا زينتهم عند المسجد الحرام وأن يأكلوا ويشربوا مايشاؤون بلا إسراف. وكانوا يطوفون بالبيت عراة ولا يأكلون من الطعام الاقوتا ولا يأكلون دسما. ولم يحرم عليهم الا الفواحش ماظهر منها ومابطن ومثل هذا لا يصح أن يقابل من عاقل بالاباء والرفض

سابعها ان الله جعل لكل أمة أجلا لا تتقدم عنه ولا تتأخر ثم يجمعهم بعده اليه فمن اتقى فلا خوف عليه. ومن كذب فله من العذاب ما بالغ فى وصفه وتفنن فى ذكر حالاته وأطنب ماشاء أن يطنب الى أن ذكر أنهم حينما يرونه يقولون قدجاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ماكانوا يفترون من الاصنام فلم تنفعهم في ذلك الوقت الذي كانوا يدخرونها له

ثم ذكر من صفات الله بمناسبة ذكر أصنامهم وخيبة رجائهم فيها ما يقطع معه بأنها لا قيمة لها . فبين أنه هو الذى خلق السموات والارض والشمس والقمر والنجوم فلا يجوز أن يدعى غيره معه . بل الواجب أن يدعى وحده تضرعا وخفية . وهو الذى يرسل الرياح والسحاب لتسقى به البلاد وتخرج الثمرات (والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون)

القسم الثاني

« لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله ... »

الآيات الى قوله تعالى

من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون

ذكر من أخبار الاولين قصة نوح مع قومه وكيف أغرقهم الله بتكذيبهم له . وقصة هود مع عاد وكيف قطع الله دابرهم بتكذيبهم له . وقصة صالح مع ثمود وكيف أخذتهم الرجفة بتكذيبهم له . وقصة لوط مع قومه وكيف أهلكوا لتكذيبهم له . وقصة شعيب مع أهل مدين وكيف أخذتهم الرجفة بتكذيبهم له

ثم ذكر أن هذه كانت سنة الله فى كل قرية بعث فيها نبى فكذبوه . ولو أنهم آمنوا بأنبيائهم لفتح الله عليهم وبارك فيهم ولكنهم جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل فطبع الله على قلوبهم (وما وجدنا لأكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين)

(٣)

ثم استأنف ذلك القصص فذكر قصة موسى وإنما أفردها عن تلك القصص وفصلها عنها بما سبق اهتماما بها. وهى قصة طويلة فى سياق ترتبط آياته بعضها ببعض ارتباطا ظاهرا . ابتدأها بما جرى لموسى مع فرعون وختمها بما جرى له مع قومه الى أن أمرهم بدخول القرية وأن يقولوا عند دخولها حطة (فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون)

(٤)

ثم قص عليهم ما كان منهم بعد وفاة موسى من الاعتداء فى السبت الذى هو من اعظم شعائرهم . وكيف أخذهم الله على ذلك بعذاب بئيس وجعل منهم قردة وخنازير وبعث عليهم من يسومهم سوء العذاب الى يوم القيامة وفرق قدماءهم فى

الارض امما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك . ثم خلف من بعد هؤلاء خلف كانوا كلهم فساقا يأخذون عرض هذا الأدنى ونسوا ما أخذ عليهم من الميثاق ان لا يقولوا على الله الا الحق بعد تاكيده عليهم برفع الجبل الذى أخذ عليهم فيه حتى صار فوقهم كأنه ظلة . وبعد أمرهم أن يأخذوه بقوة ولا ينسوه . هذا ألى ذلك الميثاق العام الذى اخذه الله على بنى آدم وأودعه فى فطرهم أن لا يشركوا به ولا يعصوه . وبعد أن شاهدوا ماجرى لاحد علمائهم حين نقض العهد وانسلخ من الآيات التى اكرمه الله بها فأذله وجعله فى مثل صغار الكلب الذي هو أخس الحيوانات . وهكذا يكون حال كل شخص يكذب بآيات الله أقبح حال . ومثله اسوأ مثل (من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون)

الخاتمة

ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل اولئك هم الغافلون)

الآيات الى آخر السورة

(١)

ذكر بعد أن قص ماشاء من أخبار الاولين أن الله هكذا اراد أن يجعل البشر على قسمين ضال ومهتدى . فجعل للضال قلوبا لا يفقه بها حتى غفل عن ذكر الله والحد فى اسمائه . وهدى الثانى الى الحق فجعلوه اماما لهم فيما يحكمون . والاولون الذين كذبوا بآيات الله لابد أن يصيروا الى ما صارت اليه تلك الامم القديمة وأنما يملى الله لهم ليقطع عذرهم ثم يأخذهم بشدة ويكيد لهم كيدا عظيما . وهذا لاهمالهم التفكير فى أمر هذا النبى الذى لم يكن مجنونا حتى يهملوا ما جاءهم به من النذر . وتركهم النظر فى ملكوت السموات والارض ليعرفوا ان له خالقا قبل أن يدركهم الأجل فلا يمكنهم النظر ولكن (من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم فى طغيانهم يعمهون)

(٢)

ثم ذكر أنهم يسألونه عن ذلك اليوم الذى ينذرهم به سؤال استهزاء واستبعاد له فأجابهم بأن علمه عند الله وما هو الا بشر لا يعلم الغيب ولا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله. فهو الذى خلقهم ويقدر على نفعهم وضرهم ولكنهم يشركون

به مالا يخلق شيئا ولا يستطيع لهم نصرا .من الاصنام التى ليست لها ارجل تمشى بها ولا اعين تبصر بها(وان تدعوهم ألى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون)

«٣»

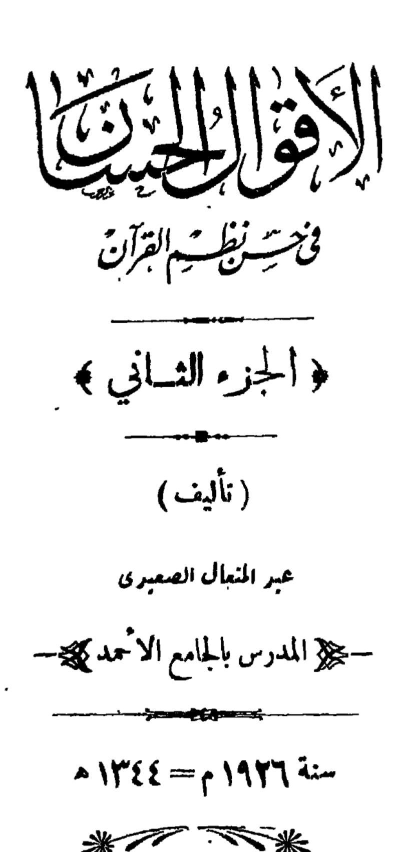
ثم امر النبي أن يقابل هذا كله بأمرين أولهما العفو والاعراض ٠ فأن بدرت منه بادرة غضب استعاذ بالله منها فلا يمضى فيها كما يمضى أولئك المشركون فى غيهم ثم لا يقصرون. وهذا كما يمضون فى اقتراح الآيات على النبي وأذا لم يأتهم بآية قالوا هلا اجتبيتها (اقترحتها) على ربك ٠ ولا يعرفون انه نبي لا يصح أن يقترح على الله بل يجب عليه أن يتبع ما يوحي اليه من آيات القرآن ألتي هي بصائر من الله ٠ ومن استمع لها اذا قرئت اهتدي بها واستغنى بها عن غيرها

وثانيها الالتجاء الى الله بالذكر فى الغدو والآصال والمواظبة عليه كما يواظب عليه من عند الله من الملائكة (أن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون)

فهرست الجزء الاول

(فهرست الخطأ والصواب)

ص	خطأ	صواب
٣٣	تنقلون	تعقلون
٣٤	الم تر الذين	الم تر الى الذين
٤٣	بشهاته	بشهادته
٦٢	وأمحهم	وأممهم
٥٦	يدعوا	يدعو
٦٩	طعمة بين أبيرق	طعمة بن أبيرق
٧٢	يمن	يمن
٧٦	المود	العهود
٩٤	يوثر	يؤثر



الأقوال الحسان

في حسن نظم القرآن

« الجزء الثاني »

(تأليف)

عبد المتعال الصعيدى

المدرس بالجامع الأحمدى

سنة ١٩٢٦ م = ١٣٤٤ هـ

(المطبعه العموميه بطنطا)

سورة الأنفال

سميت هذه السورة بذلك لذكر حكم الأنفال والغنائم فيها . وقد نزلت عقيب غزوة بدر لشرح وقائعها واستنباط وجوه العبر منها ومؤاخذة المسلمين على امور بدرت منهم فيها . فقد استنهضهم النبي لقتال المشركين ببدر فكره فريق منهم لقاءهم لما كانوا فيه من قلة العدد والسلاح . ولما حضروا بدرا ونصرهم الله على المشركين وجاء وقت قسمة الغنائم تنازعوا عليها وظهر على بعضهم عدم الرضا بما فعله النبي فيها . وسأله بعضهم كيف تقسم ولمن الحكم فيها أللمهاجرين ام للانصار أم لهم جميعا . وغضب آخرون من تنفيله بعض من أحسن فى القتال وأعطائه من المغنم زيادة على سهمه . وتطلع فريق ألى الخمس الذى جعل لله والرسول وذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل . وهذا الاختلاف فى أمر تلك الغنائم كان السبب المباشر لنزول تلك السورة . ولهذا جعل ما عداه مما ذكر فيها من شرح وقائع تلك الغزوة مرتبا عليه فى الاول والآخر

فقد ذكر فى الاول أنهم سألوه عن قسمة تلك الغنائم
لما حصل فى نفوسهم من جهتها فأجابهم على سبيل الاجمال
بأن قسمة الغنائم لله والرسول يقسمانها على مايشاء الله ويرى
فيه المصلحة وان كره ذلك من يجهلها . ثم ذكر ما يؤيد
هذا من غزوة بدر وخروجهم لها كارهين جهلا بما كان لهم
فيها من النصر والظفر . وقد ذهب فى هذا السبيل ما شاء
ثم رجع الى تفصيل ما أجمله فى الاول فبين مصارف الغنيمة
وكيفية قسمتها وأيد كون الخمس لله والرسول بما حصل فى
غزوة بدر من امداد الله لهم بالملائكة وغير ذلك مما لولاه
ما تم النصر لهم . وقد مضى ها هنا فى شرح ما بقى من
غزوة بدر وما يتعلق بها الى آخر هذه السورة . فهى حينئذ
تنقسم الى قسمين أولهما فى تفويض قسمة الغنائم الى الله
وفيما يتصل به من غزوة بدر . وثانيهما فى تفصيل قسمة
الغنائم وما يتصل به من تلك الغزوة . وقد ذكرت هذه
السورة بعد سورة الاعراف لان قتل كبار المشركين فى
غزوة بدر المذكورة فى سورة الانفال كان مما انذروا به فى
تلك السورة . فذكرت هذه السورة بعدها كتحقيق لما

أوعد الله • وتصديق لما اخبر به

القسم الاول

يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين

الآيات إلى قوله تعالى

وأن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير.

(١)

ذكر أنهم سألوه عن قسمة الغنائم سؤالا ناشئا عن عدم اطمئنانهم لما حصل فى قسمتها فى غزوة بدر • فأجابهم بأن قسمة الغنائم ليس مما يعنيهم وأنما هى لله والرسول فتكون على وفق ما تقتضيه حكمة الله وان جهلوها وحصل فى نفوسهم من ذلك ما حصل • فليتقوا الله وليفوضوا أليه الامر ليكونوا من المؤمنين الذين أذا ذكر الله وجلت قلوبهم (اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم)

«٢»

ثم أراد اقناعهم بهذا فذكر أنهم خرجوا لغزوة بدر على كره منهم وكانوا يريدون أن يلحقوا بالعير وفيها أربعون فارسا مع أبي سفيان ولا يخرجوا للنفير وهم الف مقاتل مع أبي جهل . ويريد الله أن يحق ما أخبر به في سورة الاعراف من قطع دابر المشركين . وقد كان ما اراده الله فأمدهم بالملائكة لتطمئن به قلوبهم والقى الرعب فى قلوب اعدائهم وأمرهم أن يقاتلوهم زحفا متراصين لانهم كانوا فى قلة لاتحتمل تفرقهم . فأحكم تدبيرهم بعد ان أمدهم بالملائكة وغيرهم وبهذا وذاك تم لهم النصر وكان الله هو القاتل والرامى . وقد فعل ذلك ليعطى المؤمنين عطاء جميلا ويوهن كيد الكافرين فيعلموا أن استفتاحهم على المسلمين بأصنامهم لا يفيدهم ويأتى بعكس مرادهم « ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين»

«٣»

ثم أمرهم بعد هذا أن يطيعوا الله والرسول حتى

لا يعودوا الى ما حصل منهم فى تلك الغزوة من الخروج لها كارهين والاختلاف فى قسمة غنائمها . وأن يستجيبوا لله وللرسول اذا دعاهم للجهاد الذى فيه حياتهم . وان يتقوا الخلاف والفتن ويذكروا أنهم كانوا قليلا مستضعفين فى الارض فأيدهم الله بفضل اتحادهم وطاعتهم لرسولهم . وان لايخونوا الله والرسول فى القتال والغنائم ويعلموا أن الاموال ليست الا فتنة لا ينبغى الغلو فى التطلع اليها . وان التقوى والعمل الصالح خير من تلك الاموال وبه ينصرون على أعدائهم ويكفر عنهم سيئاتهم (يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم).

« ٤ »

ثم أمر النبى أن يذكر بعد هذا النصر الذى ناله فى غزوة بدر حالا من أحواله الاولى اذ كان ضعيفا فى مكة يتآمر أهلها على قتله أو اخراجه منها . واذ يستهزئون بآيات الله فيقولون انها أساطير الاولين ويدعون الله ان كان هذا من عنده ان يأتيهم بعذاب اليم . وما كان الله ليعذبهم والرسول بين ظهرانيهم والمؤمنون يستغفرون الله بينهم . اما وقد

أخرجوهم من بينهم فقد استحقوا ان يعذبهم الله بصدهم المسلمين عن المسجد الحرام واخراجهم منه وبما يأتون فيه من العبادات الفاسدة لطوافهم به عراة يصفرون ويصفقون فلينفقوا ما ينفقون من اموالهم في قتال المسلمين فستكون عليهم حسرة ثم يغلبون الا ان ينتهوا عن كفرهم فيغفر الله لهم والا يسلط عليهم المؤمنين حتي يكون الدين كله لله (فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير)

القسم الثانى

واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير (الآيات الى آخر السورة)

« ١ »

هذا تفصيل لما اجمله فيما سبق من تفويض قسمة الغنائم لله والرسول فبين هنا ان اربعة اخماسها للمجاهدين وخمسها

لله والرسول وذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل لا يصح للمجاهدين التطلع اليه بعد ان آمنوا بالله ورأوا ما انزله عليهم يوم بدر من الامدادات التى لولاها لما حازوا تلك الغنائم التى يطمعون فيها كلها ولا يرضون بقسمة الرسول فيها . ففى يوم بدر كان المشركون بالعدوة القصوى بجانب الماء والمسلمون بالعدوة الدنيا حيث لا ماء وكانوا كثيرا فقللهم الله فى اعين المسلمين وامرهم ان يثبتوا لهم ولا يتنازعوا ليقووا عليهم . ولا يكونوا كالمشركين فى خروجهم للقتال بطرا ورئاء الناس يزين لهم الشيطان اعمالهم ويمدهم بأنه لا غالب لهم ويقول انصارهم من المنافقين وقد ايقنوا بهلاك المسلمين انهم قد غرهم دينهم فلم يتدبروا فى عاقبة امرهم

ثم ذكر أنه مع هذا كله أرسل الله عليهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وأهلكهم كما أهلك آل فرعون ومن قبلهم . وغير ما بهم من نعمة لأنهم غيروا ما بأنفسهم كما غير آل فرعون ومن قبلهم (كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين)

«٢»

ثم تخلص من هذا ألى بيان أحوال المشركين ومايلزم في قتالهم فذكر لهم حالين اولهما أنهم قد أصروا على الكفر فلا يرجى منهم أيمان . وثانيهما أنهم لا وفاء لهم فكلما عاهدوا عهدا نقضوه ولا يبالون. ثم ذكر أن مثل هؤلاء يجب استعمال الشدة في حربهم ونقض ما يخاف نقضه من عهودهم وأعداد مايستطاع من قوة وخيل لقتالهم . ومع هذا أن جنحوا للسلم وجبت مسالمتهم وأن ارادوا به الخداع واكتساب الوقت لاستئناف الحرب فأن الله يكفي المؤمنين شرورهم وينصرهم عليهم كما نصرهم في غزوة بدر مع قلتهم (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم أنه عزيز حكيم)

«٣»

ثم ذكر بعد أن وعدهم بنصره وكفايته أنه يجب أن يثبت منهم كل عشرين لمائتين من اعدائهم وكل مائة لألف منهم . ثم خفف عنهم هذا وأوجب أن يثبت كل مائة

للمائتين وكل ألف لالفين، ثم وعدهم بالنصر مع هذا أن صبروا فقال (والله مع الصابرين)

« ٤ »

ثم ذكر أنه أن لا يصح لهم ان يبقوا على المشركين بالاسر حتى يكثر القتل فيهم ويقووا عليهم • وعاتبهم على أطلاقهم أسرى بدر وقبول الفداء منهم ومع هذا أحله لهم ولم يرده على اولئك الاسري سواء منهم من كان على الكفر ومن كان مسلما ولم يهاجر وقاتل معهم • ووعد هؤلاء بأنهم أن كانوا مؤمنين حقيقة فسيؤتيهم الله خيرا مما أخذ منهم (وان يريدوا اخيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم)

« ٥ »

ثم رغب هؤلاء الذين لم يهاجروا فى الهجرة بعد أن رأى ما كان منهم من الخروج مع المشركين لقتال المسلمين فجعل المهاجرين الاولين والانصار من الأوس والخزرج بعضهم أولياء بعض . وقطع الولاية بينهم وبين الذين لم ا — • وأن لم يكن قطعا تاما • فجوز نصرهم على من

لم يكن بينه وبين المسلمين ميثاق لا على غيره . وقطع الولاية قطعا تاما بين المسلمين والكافرين فجعل بعضهم اولياء بعض

ثم زاد فى الترغيب فذكر أن أولئك المهاجرين والانصار هم المؤمنون حقا وألحق بهم من يهاجر بعدهم فقال (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شئ عليم)

سورة التوبة

سميت هذه السورة بذلك لانها نزلت لقطع عهود المشركين وعدم قبول شئ منهم الا التوبة من شركهم وقد بلغ المسلمون فى وقت نزولها من القوة ما يمكنهم به ان يجمعوا العرب على دين واحد ويمحوا الشرك من بينهم فيكون الاسلام هو الدين الوحيد فى تلك الجزيرة . وكان مع المسلمين فيها ثلاث طوائف المشركون واهل الكتاب والمنافقون . فأمروا ان يقاتلوا الاولين ولا يقبلوا منهم إلا التوبة من الشرك . وان يقاتلوا اهل الكتاب حتى

يعطوا الجزية . وان لا يقبلوا المنافقين بينهم ويعاملوهم كغيرهم فتلك ثلاثة مقاصد فى هذه السورة

ولما نزلت هذه السورة لتشريد المشركين والتنكيل بهم وتسليط المسلمين عليهم . وكان هذا من تمام ما اوعدهم الله به فى سورة الاعراف . ذكرت بعد سورة الانفال تتميما للمقصود منها ، حتى قال بعض العلماء انهما سورة واحدة

المقصد الاول

براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا فى الارض اربعة اشهر واعلموا انكم غير معجزى الله وان الله مخزى الكافرين

الآيات الى قوله تعالى

يأيها الذين آمنوا أنما المشركون نجس (الآية)

« ١ »

جعل المشركين فى تسليط المسلمين عليهم قسمين أولهما من كان لا يحافظ على عهد النبى وينوى الخيانة . وهؤلاء أمر المسلمون بنقض عهودهم وامهالهم أربعة اشهر . وهى

الاشهر الحرم من يوم النحر الى العاشر من شهر ربيع الآخر ثم لا يكون لهم أمان فيقتلون ويؤسرون ويحصرون أن ان تحصنوا و يقعد لهم بكل مرصد. الثاني من حافظ على عهد النبي ولم ينقصه شيئا وهؤلاء أمر المسلمون أن يتموا اليهم عهدهم ألى مدتهم . فأذا انقضت فلا يجددونه لهم . ويكون حكمهم فى عدم الامان كغيرهم . ثم استثنى منهم من يقصد النبي ليسمع كلام الله ويؤمن أن اقتنع به . فأن آمن فبها والا وجب عدم التعرض له حتى يصل ألى دار قومه (وأن احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) .

« ٢ »

ثم ذكر من تحريضهم عليهم وترغيبهم في قتالهم وتأييد نقض عهودهم وجوها أولها انهم أن يظفروا بالمسلمين لا يرقبون فيهم عهدا ولا ذمة . ومن لا يحترم عهدا لا يحترم عهده بل يجب قتاله الا ان يتوب ويعاهد النبى على الايمان فيصان دمه كاخوانه فى الدين فأن نقض عهد الايمان أهدر دمه كما كان

ثانيها أنهم نكثوا أيمانهم بعد عهد الحديبية وأعانوا بنى بكر على خزاعة حلفاء النبي . وهم الذين هموا بأخراجه من مكة لو لم يخرج بنفسه خفية منهم الخ الخ

ثالثها ان الله ضمن لهم النصر عليهم ليشفى صدورهم ويذهب غيظ قلوبهم . ويتوب على من يشاء من المشركين أذا شاهد تأييد الله لهم

رابعها أن الله يريد ان يميز المخلص فى ايمانه وهو من جاهد فى سبيله ولم يتخذ وليجة من دونه ممن لم يخلص فى أيمانه فينفر من قتال اوليائه من المشركين

خامسها انهم قوم كفار عبدة اصنام فلا يصح ان يبقى مسجد الله الحرام بأيديهم . يقومون بعمارته ويسقون الحاج به ويفخرون على المسلمين بتلك الوظائف وهم اولى بها منهم . ومع هذا فما هى تلك الوظائف التى يفخرون بها من العمارة والسقاية وغيرهما بجانب الايمان بالله واليوم الآخر والمجاهدة فى سبيله . وبجانب ما اعد الله للمؤمنين من جنات لهم فيها نعيم مقيم (خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم)

« ٣ »

ولما كان المسلمون لهم فى المشركين آباء وابناء واخوان
ونان يشق عليهم ان يقاتلوهم . وكان لهم عندهم فى مكة
موال وتجارات يخافون عليها . ذكر انه لا يصح ان تقدم
القرابة على الدين ولا مصلحة الدنيا على الآخرة . وان
الله ورسوله اولى بهم من آبائهم وابنائهم وهو الذى نصرهم
فى مواطن كثيرة خصوصا يوم حنين اذا اعجبتهم كثرتهم
فلم تغن عنهم شيئا ولم ينفعهم الا تأييد الله بجنوده لهم
وان المشركين نجس يجب التبرؤ منهم ان كانوا اقرباء
وابعادهم عن المسجد الحرام فلا يقربونه بعد عامهم هذا
لحج أو غيره . وان خاف المؤمنون من ذلك انقطاع ما كانوا
يجلبونه فى موسم الحج من الارفاق والمكاسب (فسوف
يغنيكم الله من فضله أن شاء ان الله عليم حكيم)

المقصد الثاني

قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا
يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من

الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون
الآيات الى قوله تعالى
أنما النسيء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا — الآية

« ١ »

أمر بقتال اهل الكتاب حتى يؤمنوا أو يعطوا الجزية وذكر فى تبرير قتالهم وجوها اولها انهم لا يؤمنون حق الايمان بالله واليوم الآخر . ثانيها انهم صاروا كالمشركين فى نسبة الاولاد لله . فاليهود تقول عزير بن الله كما تقول النصارى ذلك فى عيسى ابن مريم . ثالثها انهم يؤذون المسلمين ويريدون ان يطفئوا نور الله وهو دين الاسلام الذى يقفون فى طريقه . وقد اراد الله ان يظهره على الدين كله . ورابعها ان احبارهم ورهبانهم يأكلون اموال الناس بالباطل ويكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله (فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون)

« ٢ »

ثم تكلم عن زمن القتال فأباح للمسلمين أن يقاتلوهم في جميع شهور السنة حتى الاشهر الحرم . وقد كانوا يحرمون القتال فيها في الجاهلية ويحلون النسيء وهو تأخيرها عن مواضعها في السنة اذا صادفتهم وهم محاربون أو لم يوافق الحج فيها موسم تجارتهم . فحرم ذلك النسيء وقال عنه أنه زيادة في الكفر (يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين)

المقصد الثالث

يأيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة فما متاع الحياة الدنيا في الاخرة الا قليل

الآيات الى آخر السورة

« ١ »

كانت غزوة تبوك التي خرج فيها لقتال الروم في وقت

الصيف والحر شديد والروم أقوياء ليسوا كغيرهم من قبائل العرب الذين كانوا يقاتلونهم فهنالك ظهر المنافقون فى ثوبهم الحقيقى وتثاقلوا عن الخروج وأثروا فى كثير من المؤمنين فتثاقلوا معهم واستأذن بعضهم النبى فى عدم الخروج فأذن لهم

فنزلت هذه الآيات لتوبيخ المتثاقلين مؤمنين كانوا أو منافقين وأمرهم بالجهاد والخروج له ولو ثقل عليهم (خفافا وثقالا) ولم يكن السفر اليه سهلا قريبا (قاصدا) ومعاتبة النبي على اذنه لهم فى التخلف وكان الاولى عدمه ليظهر نفاقهم ويفتضح حالهم . فقد كانوا بحيث يمكنهم الخروج ولم يكن لهم عذر فى التخلف عنه . ولكن كره الله خروجهم فثبطهم لانه علم أنهم لو خرجوا لاجتهدوا فى تفريق كلمة المسلمين وكانوا عيونا للاعدائهم ينقلون أخبارهم اليهم كما كانوا يفعلون قبل تلك الغزوة (لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتي جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون)

« ٢ »

ثم أخذ فى شرح أحوالهم القبيحة وتفصيل أفعالهم الذميمة ليبرر بذلك ما أراده من نبذهم وعدم قبول نفاقهم

ورفع الامان عنهم فذكر منهم أقساما أولها الذين اذا دعوا للقتال ذهبوا الى النبي ليأذن لهم فى عدم الخروج ولا يوقعهم فى الفتنة وعرضوا عليه فى نظير هذا من المال ماينفقه فى القتال . فاذا خرج المؤمنون للقتال وأصابتهم حسنة ساءتهم فاذا اصابتهم سيئة فرحوا لعدم خروجهم معهم مع أنهم لا يصيبهم الا ما كتب الله لهم من إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة فى سبيل الله . أما هم فالمال الذى قدموه فى نظير قعودهم لا يقبل منهم ولا يثابون عليه فى الآخرة . ثم نهى النبي أن يتطلع الى اموالهم واولادهم ليأخذ منها مثل ما كان يأخذه منهم مما كانوا يظهرون به للمؤمنين خداعا أنهم منهم وماهم منهم ولكنهم قوم يفرقون (لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون)

« ثانيها »

الذين يلمزون النبي فى الصدقات ويقولون أنه يؤثر بها أقاربه واهل مودته مع أنها تصرف مصرفا لا أثر للهوى فيه ولا يأخذها الا من يستحقها من الفقراء والمساكين والعاملين عليها الخ

« ثالثها »

الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن يسمع كل مايقال له ولا يتدبر فيه . ثم يحلفون مع هذا للمؤمنين أنهم منهم ليرضوهم ولو كانوا صادقين فى حلفهم لارضوا الرسول الذى يطعنون فيه وهو احق ان يرضوه منهم ولكنهم يفعلون ذلك استهزاء بهم ويحذرون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بحقيقة أمرهم وانهم كاذبون فى حلفهم فيغضبون عليهم الخ

ثم ذكر انه يجب ان يكون المنافقون بعضهم لبعض لا يصح ان يدخلوا بين الرسول والمؤمنين فيؤذوه ويحاولوا ان يسترضوهم بعد ايذائه . بل يجب أن يتركوا وحدهم يأتون منكراتهم ويبخلون بأموالهم وينسون الله ليعذبهم كما عذب الذين من قبلهم قوم نوح وعاد الخ

وأنه يجب ان يكون المؤمنون بعضهم أولياء بعض فلا يوالون هؤلاء الذين يطعنون فى نبيهم ويحاولون مع هذا ان يسترضوهم . واذا كان المنافقون يوالى بعضهم بعضا على الامر بالمنكر والنهى عن المعروف فيجب أن يوالى المؤمنون بعضهم بعضا على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ايرحمهم

الله ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار الخ

ثم امر النبي ان يجاهدهم كما يجاهد الكفار لانهم قالوا كلمة الكفر (هو اذن) فصاروا مثلهم بل هموا بما لم ينالوا من الفتك برسول الله (وما نقموا الا ان أغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيراً لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما فى الدنيا والآخرة ومالهم فى الارض من ولى ولا نصير)

« رابعها »

الذين عاهدوا الله لئن آتانا من فضله لنصدقن فلما آتاهم من فضله بخلوا به ثم سخروا من المؤمنين الذين لا يجدون الا جهدهم فيتصدقون منه على قدر طاقتهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم . فليستغفر النبي لهم اولا يستغفر لهم فلابد من عذابهم ولن يغفر الله لهم (ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدى القوم الفاسقين)

« ٣ »

ثم رجع الى اصل الكلام وتخلفهم عن غزوة تبوك وفرحهم به ليرتب عليه تلك الاحكام التي ذكرها . وأولها أن لا يستصحبهم بعد هذا فى قتال أعدائه . وثانيها ان لا يصلى

على أحد منهم مات ابدا . وثالثها ان يكف نفسه عن اموالهم فلا يأخذ منها شيئا كما كان يأخذ قبل ان يجاهروا بنفاقهم . فليتركهم واموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها فلا ينفقونها فى سبيل الله واذا امر بالقتال اصحابها جاءوا يستأذنون النبي ليتركهم مع النساء والضعفاء (الخوالف) (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وانفسهم واولئك لهم الخيرات واولئك هم المفلحون أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم)

« ٤ »

ثم اخذ فى شرح احوال المنافقين من الاعراب (اهل البادية) وكان ما تقدم فى منافقى المدينة . فذكر أنهم فعلوا فى تلك الغزوة ما فعله الاولون فقعدوا عنها بأذن من النبي وبلا أذن . ولم يكن لهم فى التخلف اعذار حقيقية من ضعف أو مرض او فقر بل كانوا أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون . فلما رجع النبي والمؤمنون من تلك الغزوة سالمين جاؤا أليهم ثانيا يعتذرون اليهم ويحلفون لهم ليرضوا عنهم (يحلفون لكم

ترضوا عنهم فأن ترضوا عنهم فأن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين)

« ٥ »

ثم أخذ فى شرح أحوالهم بقطع النظر عن هذه الغزوة كما شرح احوال منافقى المدينة بعد شرح مافعلوه فيها .
فذكر أن الاعراب أشد كفرا ونفاقا من أهل الحضر .
فمنهم من يتخذ ماينفق مغرما ويتربص بالمؤمنين الدوائر عليهم دائرة السوء الا قليل يتخذ ما ينفق قربات عند الله فأولئك سيدخلهم الله فى رحمته مع المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم بأحسان

ومنهم من تغالى فى نفاقه ومرد عليه كما مرد منافقوا أهل المدينة . ومنهم من لم يتغال فى النفاق بل خلط عملا صالحا هو خروجه مع النبى فى سائر الغزوات . وآخر سيئا هو تخلفه عن تلك الغزوة مع ندمه عليه وأسراعه الى التوبة منه . فهؤلاء يرجى أن يقبل الله توبتهم الخ

ومنهم من بقى موقوفا امره لعدم مسارعته الى التوبة من تخلفه . ككعب بن مالك الذى قال له النبى اعتذر من

صدقك فقال لا حتي تنزل توبتي . فأما يعذبه الله وأما يتوب عليه والله عليم حكيم . ومنهم الذين اتخذوا مسجدا يضارون به مسجد قباء ويفرقون بواسطته بين المؤمنين . وقد أمر النبي بتخريبه وعدم الصلاة فيه . فأنه لا يصح أن يترك الصلاة فى مسجد اسس على التقوي مع رجال يحبهم الله ألى مسجد اسست بنيانه على شفا جرف هار فانها ربه في نار جهنم . ورجال تأصلت الريبة فى قلوبهم فلا تزول الا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم . فلا يمكن أن يكونوا كقوم اشترى الله انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون الخ الخ

ثم ذكر انه ما كان للنبي ولا للمؤمنين أن يصلوا فى ذلك المسجد ويستمروا على الاستغفار لاولئك المنافقين المشركين من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم . وأن استغفار ابراهيم لابيه وقد كان مشركا لم يكن الا لانه وعده أن يؤمن . فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه وترك الاستغفار له . ثم بين أنه لا يؤاخذهم بما كان منهم من الاستغفار لهم وانه اولى منهم بأن يتخذوه وليا ونصيرا فقال

(وما كان ليضل قوما بعد اذ هداهم) الآيتين

« ٦ »

ثم تكلم فيمن تخلف عن تلك الغزوة من المؤمنين وقد قلنا ان فريقا منهم تخلف عنها كسلا وبتأثير المنافقين فلما فرغ من الكلام على المنافقين وذمهم على تخلفهم عنها انتقل الى من تخلف عنها من المؤمنين ومن ضاقت به نفسه وكاد يزيغ قلبه من شدتها فبين أن الله قبل توبتهم مما حصل منهم وخصوصاً الثلاثة الذين خلفوا الخ

ثم أمرهم ان يتقوا الله ولا يعودوا الى التخلف عن الجهاد في سبيله فانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب فيه ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا جازاهم الله عليه أحسن الجزاء . ثم استثنى من ذم التخلف عن الجهاد من يتخلف للتفقه في الدين فقال (ما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون)

« ٧ »

ثم أمرهم ان يقاتلوا اولئك المنافقين ولا يلينوا لهم .

وهيجهم عليهم بذكر بعض قبائحهم وان منهم من اذا نزلت سورة يقول لاخوانه في النفاق استهزاء ايكم زادته هذه ايمانا . او ينظر بعضهم الى بعض لينصرفوا عن سماعها اذا لم يرهم احد من المسلمين . ولو كانوا يفقهون مافعلوا هذا وشكروا الله الذي ارسل فيهم رسولا منهم حريصا على ايصال الخير اليهم وهو بالمؤمنين رؤوف رحيم (فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم)

سورة يونس

سميت هذه السورة بذلك لذكر قصة يونس فيها . والغرض منها التنويه بشأن القرآن ودفع اعتراضات المشركين عليه . وتنقسم السورة باعتبار هذا الى قسمين اولهما جاء في سرد تلك الاعتراضات والجواب عنها . وثانيهما في استمالتهم اليه بالترغيب والترهيب . فالاول ببيان فضله وعظم ماجاء به . والثاني بذكر بعض قصص الاولين وما حصل لهم بسبب تكذيبهم لرسلهم وتذييل ذلك بما يناسبه

مما ختمت به السورة

القسم الاول

الر تلك آيات الكتاب الحكيم

الآيات الى قوله تعالى

هو يحيي ويميت واليه ترجعون

نوه بشأن القرآن ثم ذكر من اعتراضاتهم عليه وجوها أولها انهم تعجبوا ان يوحى الى رجل منهم بما ينذرهم بيوم يعذبون فيه ويكون للمؤمنين قدم صدق عند ربهم فهذا لا يكون وانما هو سحر مبين

وقد أجاب عنه بجوابين أولهما ان هذا اليوم ليس ببعيد على من خلق السموات والارض وبدأ الخلق من العدم فهو يعيده ليجزي المحسن على احسانه والمسيء على اساءته ثانيهما ان الله جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل يعرف بها عدد السنين والحساب وجعل الليل والنهار مختلفين يعقب كل منهما الآخر. فلولم يكن كل ذلك سائرا الى غاية لكان خلقه باطلا ولم يكن لهذه الحركة معنى معقولا. فالذين لا يرجون لقاء الله بعد هذا مأواهم النار . والذين

يؤمنون به لهم جنات تجري من تحتها الانهار . ثم ذكر ان هذا اليوم الذي يستبعدونه في قدرة الله ان يعجله ويهلكهم كما اهلك الامم القديمة حينما كذبت رسلها ولكنه أراد امهال هذه الامة لينظر ما يكون منها (ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون)

« ثانيها »

انه اذا تليت عليهم آيات القرآن الواردة في اثبات المعاد وذم آلهتهم طلبوا من النبي ان يأتيهم بقرآن غيره ليس فيه تخويف بذلك اليوم . ولا ذم لتلك الآلهة . فرد عليهم بأن هذا الكتاب ليس من عنده حتى يكون له أن يبدله . ولو كان من عنده ما انتظر حتى بلغ الاربعين بل أتى به من قبلها خيرتا من الزمن قبل اظهاره . على أنه يعلم أن من يفتري على الله شيئاً فهو اشد خلق الله ظلما ولا ينقص جرمه عن جرم من يكذب بآياته . فلا يمكن ان يقدم على افتراء شيء عليه

ثم ذكر ان تلك الآلهة لا تضرهم ولا تنفعهم فلا يصح ان يغضبوا لذمها وقد كانوا قبلها امة واحدة على دين أبيهم ابراهيم فاختلفوا بعد نبيها (ولولا كلمة سبقت من

ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون)

« ثالثهـا »

انهم قالوا لو كان من عند الله لكانت له آية عليه وقد ردعليهم بأمور أولها انه ليس له من الامر شيء وانما ذلك لله ان شاء أنزل ما يطلبونه وان شاء لم ينزله . وثانيها ان الله يعلم انه اذا أنزل آية يكذبون بها لان عاداتهم المكر واللجاج فاذا وقعوا فى مصيبة دعوا الله مخلصين حتى اذا انجاهم منها عادوا الى بغيهم وغرورهم بالحياة الدنيا التي لا ينبغى لعاقل ان يغتر بها . وهي ليست الا كماء نزل من السماء فاختلط بنبات الارض حتى اذا اخذت زخرفها وظن اهلها انهم قادرون عليها أتاها امر الله فصارت كأن لم تكن بتلك الزينة وذلك الزخرف . بخلاف الآخرة فانها دار سلام وامن لمن عمل لها ودار ذلة وعذاب لمن اغتر بالدنيا ونسيها فهنالك تتبرأ منهم آلهتهم ويقولون أنا كنا غافلين عن عبادتكم . وهنالك يردون الى الله مولاهم ويضل عنهم ما كانوا يفترون من آلهتهم . ثم أمرهم بمناسبة ذكر آلهتهم أن ينظروا فيمن يرزقهم من السموات والارض ويملك السمع والابصار

الخ الخ ليعلموا أنها لا تملك منها شيئا . وانها لا نفع لها في الآخرة كما لا نفع لها في الدنيا

ثالثها ان ذلك الكتاب لا يمكن ان يكون مفترى على الله والا لامكنهم أن يأتوا بسورة مثله فهو من عند الله حقا ولكنهم يكذبون بما لم يحيطوا بعلمه او يحيطون به ويؤمنون باطنا ولكنهم يظهرون الكفر به عنادا . ويقفون بأزائه موقف الصم الذين لا يسمعون . والعمى الذين لا يبصرون . فويل لهم من يوم يحشرون فيه فينسيهم هو له سابق معرفتهم فيتعارفون بينهم . هذا بعد ان ينالهم في الدنيا ما وعدوا به من القتل والاسر ويقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون

فأن قالوا متي يكون هذا الوعد واستعجلوه فليعلموا أن امره مفوض الى الله وله أجل لا يمكن ان يتقدم عنه أو يتأخر . وانه لا فائدة لهم في استعجاله لانه لا يأتى الا بعذابهم ولا يقبل منهم أيمان فيه

فان أعادوا السؤال عنه بعد هذا وقالوا أحق هو فليعلموا انه حق بما فيه من عذاب اذا رأوه يتمنون لو أن

لهم مافى الارض ليفتدوا به. وليس ذلك على الله بعزيز وهو
الذى له مافى السموات والارض فلا يكون وعده الا حقا
ولكن اكثر الناس لا يعلمون (هو يحيي ويميت واليه ترجعون)

القسم الثاني

يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما
فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين
الآيات الى آخر السورة

« ١ »

لما رد اعتراضاتهم على القرآن شرع يرغبهم فيه بأنه
موعظة وشفاء وهدى ورحمة يحل لهم ما انزل الله لهم من
رزق جعلوا منه حراما وحلالا افتراء على الله الى غير ذلك
من وجوه فضله التى منحهم الله بها ولكن اكثرهم لا
يشكرون ولا يعلمون أن الله مطلع عليهم ولا يعزب عنه
صغير ولا كبير من أعمالهم . ثم نهى النبي أن يحزن لاقوالهم
السابقة فى القرآن وصنعهم عليه بأعزازهم وأن العزة لله
جميعا لا لهم ولا لما يدعون من دونه من شركائهم وأن نسبوها

الى الله وقالوا انها ولد له فعزتها من عزته فليعلموا أن الله غنى عن الاولاد التى يفترونها عليه ولا يعلمون ان الذين يفترون عليه الكذب لايفلحون (متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون)

« ٢ »

ثم سلك سبيل الترهيب بعد الترغيب فتلا عليهم من قصص الاولين وما اصابهم بتكذيب رسلهم قصة نوح مع قومه وكيف اغرقهم الله لما كذبوا به . وقصة موسى مع فرعون وكيف اغرقه الله لما كذب به وبوأ بنى اسرائيل مبوأ صدق من بعده ورزقهم من الطيبات حتى اختلفوا على رسلهم فأصابهم الله بما أصابهم . ثم ذكر أن هذه الامم انما اهلكها الله لانه علم انهم لايؤمنون ولو جاءتهم كل آية فلم يشأ امهالهم . ولو آمنوا لنجاهم كما نجى قوم يونس (لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين)

« ٣ »

ثم رجع الى النبي وقومه فذكر له ان الايمان بمشيئة الله

لا بما يطلبونه من آيات ولو شاء لهدى اليه الناس جميعا لا قومه فقط . وهذه السموات والارض ينظرون فيهما ما لا يحصى من آيات الله ولكن ما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون فلينتظروا أن يحل بهم ما حل بالذين خلوا من قبلهم من قوم نوح وغيرهم

ثم أمره بعد هذا أن يصرف نظره عنهم ويعبد الله وحده ويتركهم فى شركهم (فمن اهتدى فأنما يهتدى لنفسه ومن ضل فأنما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل . واتبع ما يوحى اليك واصبر حتي يحكم الله وهو خير الحاكين)

سورة هود

سميت هذه السورة بذلك لذكر قصة هود فيها . وقد جاءت بعد سورة يونس مكملة لما ذكر فيها من الكلام مع المشركين ودفع طعنهم على القرآن . ومتممة لما ذكر فيها من اخبار الامم التي كذبت رسلها مع زيادة بيان فى القصتين اللتين ذكرتا فى سورة يونس وذكرتا هنا مفتتحا قسم القصص بأولاهما ومختتما بأخراهما دلالة على أن القصص

هنا جاء متمما لما هنـاك . وتشتمل هـذه السورة عـلى مقصدين كما تشتمل السورة السابقة

المقصد الاول

الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير الآيات الى قوله تعالى

مثل الفريقين كالأعمي والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون

« ١ »

ابتدأ هذه السورة كالتي قبلها بأثبات أن القرآن الذى يطعنون فيه قد احكمت آياته قبل أن تنزل اليهم . فلا يمكن أن يكون هناك مايتوجـه اليه طعنهم . ثم نزل بعد هـذا مفرقا بحسب الوقائع والاحوال عـلى ما تقتضيه حكمة الحكيم الخبير . ولا غرض له الا هداية الناس لعبـادة الله وحده ليمتعهم متاعا حسنا ويؤتى كل ذى فضل فضله . فأن لم ينتهوا يعذبهم فى يوم يرجعهم اليه وهو على كل شئ قدير . ويعلم ما يأتونه فى السر والعلن ولم يخلقهم الا ليعلم أيهم أحسن

عملا . والا كان خلقه باطلا . ولكن النبي اذا قال لاولئك المشركين انكم مبعوثون من بعد الموت يقولون هذا سحر مبين . واذا أخر عنهم ذلك اليوم الذي اعد لعذابهم الى الوقت الذي عينه الله له استهزؤا به وقالوا اذا كان صحيحا فما يحبسه عنا . وهكذا جرت عادة الانسان أذا أوقعه الله فى الشر بعد الخير تعالى فى اليأس والكفر . وأذا أنعم عليه تعالى فى الغفلة وظن أنه اصبح بمأمن من الشر (الا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير)

«٢»

ولما مهد بهذا أخذ يدفع ما طعنوا به على القرآن من أنه لو كان من عند الله لكان له دليل عليه فينزل عليه كنز أو يجيء معه ملك وقد اجاب عن هذا بجوابين أولهما أنه ليس الا رسولا ولا قدرة له على ايجاد هذه الاشياء ثانيهما أنه لو كان ذلك الكتاب مفتري على الله لأمكنهم أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات . وهم يعرفون أنهم لا يمكنهم ذلك ولكنهم آثروا الحياة الدنيا فلم يؤمنوا به ولم

يبخسهم الله فيها شيئا . أما الآخرة فليس لهم فيها الا النار ولا يمكن ان يكونوا كالمؤمنين الذين هم على يقين من ربهم ويؤمنون بهذا الكتاب أما احزاب المشركين فيكفرون به وموعدهم النار يوم يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد من الملائكة الذين يحفظون اعمالهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الخ

أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فأولئك أصحاب الجنة فيها خالدون (مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون)

المقصد الثاني

ولقد ارسلنا نوحا الى قومه أنى لكم نذير مبين
الآيات الى آخر السورة

« ١ »

ذكر من اخبار الاوان قصة نوح مع قومه . وقصة هود مع عاد . وقصة صالح مع ثمود . وقصة ابراهيم مع الرسل الذين بعثوا لاهلاك قوم لوط . وقصة هؤلاء الرسل

مع لوط وقومه ، وقصة شعيب مع اهل مدين ، وقصة موسى مع فرعون وملئه

ثم ذكر أنه يقص أخبار تلك القرى وما جرى لها من العذاب لتكون آية لمن يطلب أن ينزل عليه كنز او ملك فيما سبق فيخاف أن يعذب مثلها فى يوم يجمع له الناس فهم شقى وسعيد ، فأما الذين شقوا فى النار لهم فيها زفير وشهيق ... (واما الذين سعدوا فى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ)

« ٢ »

ثم ذكر أن حال هؤلاء المشركين كحال تلك القرى، يعبدون من دون الله ما لا يضر ولا ينفع ، وأنه لا بد أن يصيبهم من العذاب مثل ما اصابهم .ولولا ماتقدم من حكم الله بتأخير عذابهم حتى يؤمن من يؤمن منهم لعجل هذا العذاب وقضى بينهم . وسواء أخر هذا العذاب أو تقدم فلا بد من يوم يجمع فيه الكل ويوفون جزاء أعمالهم (وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم انه بما يعملون خبير)

«٣»

ثم أمر النبي أن يستقيم هو وأتباعه ولا يركن الى هؤلاء المشركين لئلا يصاب معهم بمثل ما أصيبت به تلك القرى . وأشار الى ان عدم وجود مثلهم اولى بقية ينهون عن الفساد وترك الاستقامة فى تلك القرى كان السبب فيما قضى الله عليهم من العذاب والهلاك . فقد جرت عادة الله ان لا يهلك القرى بالشرك وحده وانما يهلكهم بترك الاستقامة والافساد فى الارض (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون)

«٤»

ثم اخذ يصبر النبي فذكر ان الله هو الذى اراد أن يشركوا به ولو شاء لجعل الناس امة واحدة فيجب ان يرضى بما اراده الله وان يكون مثل الرسل الذين يقص عليه انباء صبرهم على اذى قومهم . بل يجب ان يقول لهم امضوا فى أيذائكم واعملوا على مكانتكم وانتظروا امر الله فيكم فأنه هو الذى يعلم متى يكون (ولله غيب السموات والارض . اليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل

عما تعملون)

سورة يوسف

ذكر في هذه السورة قصة يوسف مع ابيه واخوته تكميلا للقصص التي ذكرت في السورتين السابقتين . وقد افردت هذه القصة في هذه السورة اهتماما بها . ويقصد منها مايقصد من تلك القصص من التنويه بشأن القرآن والاحتجاج بها على انه من عند الله لانها من الغيب الذي ما كان يعلمه النبي وقومه الذين كانوا يجهلون انباء تلك الشعوب جهلا تاما . ولهذا افتتحت هذه السورة

بقوله تعالى

الر تلك آيات الكتاب المبين . انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون

وهو مثل ما افتتحت به السورتان السابقتان للاشارة الى ان المراد هنا وهناك اثبات ان القرآن الذي يطعنون فيه من عند الله ، كما ذيلت هذه القصة بقوله تعالى في

هذه السورة

(ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم أذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون)

وبقوله فى آخر السورة

(لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)

لاقامة هذه القصة دليلا على صحة تلك الدعوى التي افتتحت بها هذه السورة . ويمكن أن يقصد منها ايضا بطريق العرض ما قصد من القصص السابقة من تثبيت فؤاد النبي وتصبيره على أذى قومه ليكون له اسوة بيوسف مع اخوته وفوز عليهم مثل فوزه . ولهذا لم يكد يفرغ من هذه القصة ويذيلها بما سبق حتي انتقل الى النبي وقومه وأخبره بأن اكثرهم بعد هذا القصص العجيب سيمضى فى كفره ولا يؤمن ولو حرص النبي على ايمانه . وسيعرض عن هذه القصة كما يمر على آيات كثيرة فى السموات والارض

وهو معرض عنها

ثم ذكر أنه يجب أن يكتفى بارشادهم ألى السبيل الواضحة (قل هذه سبيلى ادعو ألى الله على بصيرة) ولا يحزن أذا اعرضوا عنهـا بل يجب ان يكون كأولئـك الرسل الذين أرسلهم الله الى تلك القرى البائدة التى لا يعتـبر هـؤلاء المشركون بالنظر فيما آل اليه امرها . كانوا يصبرون عـلى اذى قومهم وينتظرون وعد الله ولو طال زمنه عليهم (لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب ما كان حديثا يفـترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء وهـدى ورحمة لقوم يؤمنون)

سورة الرعد

سميت هذه السوة بذلك لذكر حديث الرعد فيها وانه يسبح بحمد الله . ويقصد منها ما قصد من السور الثلاثة السابقة بأثبات امور ثلاثة نزل بهـا القرآن وطعنوا عليـه بسببها وهى التوحيد والمعاد والرسالة . ولذلك افتتحت بما افتتحت به تلك السور مع تغيير قليل فى الالفاظ

وهذه فاتحتها

المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل اليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون

وأنه لا شيء في ان ترد سورتان واكثر لغرض واحد مع اختلاف المسالك كما يرد فصلان أو أكثر من كتاب في غرض واحد بمثل هذا الاعتبار

وينقسم ما جاء في هذه السورة بعد فاتحتها الى ثلاثة أقسام . أولها في اثبات التوحيد . وثانيها في اثبات المعاد وثالثها في اثبات الرسالة

القسم الاول

الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى يدبر الامر يفصل الايات لعلكم بلقاء ربكم توقنون

الآيات الى قوله تعالى

(وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب) الآية

استدل على ان الله واحد بامور ثلاثة أولها يتعلق بالاجرام السماوية من رفعه السماء بغير عمد الخ . وثانيها يتعلق بالاجرام الارضية من بسطه الارض وانشاء الجبال فيها لترسو بها ولا تضطرب الخ . وثالثها ان الارض تكون فيها قطع متجاورات تنشأ فيها جنات من اعناب وزرع ونخيل وتسقى بماء واحد ومع هذا تكون مختلفة الطعم واللون والطبيعة . وليس ذلك الا بتقدير الله لا بتأثير الافلاك والكواكب التى يعبدها بعض المشركين لان نسبة تأثيرها فى ذلك واحدة لا تختلف

القسم الثاني

وان تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد الآيات الى قوله تعالى

الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا فى الآخرة الا متاع

« ١ »

ذكر أنهم يستبعدون أن يبعثوا بعد ان تفنى أجسادهم

وأنهم يطلبون أن يعجل لهم هذا اليوم الذى يبعثون فيه ويذوقون ما أعد لهم من العذاب فيستعجلون ذلك العذاب ولا يستعجلون الحسنة من النصر والفوز الذى يكون لهم أن آمنوا ويطلبون ان لم يعجله لهم ان يأتيهم باية تدل على انه صادق فى انذارهم به . وقد اجاب عن هذا بجوابين اولهما أن الله يعلم كل شىء يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد الخ . فأذا تفرقت اجزاء الميت فهو يعلم أين تتفرق ويقدر على جمعها . وثانيهما أن الله قادر على ان يعجل لهم ذلك العذاب ولكن أرادته قضت ان لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ولا يرجى صلاحهم . واذا أراد الله بقوم سوء فمن ذا يرده أو يقدر على دفعه من آلهتهم وهو الذى بيده أمر البرق والرعد والصواعق ونحوها من آلات العذاب يصيب بها من يشاء (وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال)

« ٢ »

ثم مضى فى بيان كمال قدرة الله وعجز آلهتهم فذكر ان الله هو الذى يدعى فيجيب اما آلهتهم فلا يستجيبون لهم

بشيء كمن يدعو الماء ليبلغ فاه وهو جماد فلا يجيب . وأنه يسجد له من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال دون آلهتهم الخ

ثم ضرب مثلا للايمان والشرك البصر والعمى والنور والظلمة والماء والزبد الذي يطفو عليه ثم يذهب جفاء ويبقى الماء الذي ينفع الناس في الارض . فلا يمكن ان يستوى الايمان والشرك ولا المؤمن والكافر . فالمؤمنون الذين استجابوا لربهم لهم الحسنى وزيادة والذين لم يستجيبوا له ينالون من العذاب مالو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا انفسهم به الخ وانما يبسط لهم الرزق في الدنيا لانه لا تعلق له بالايمان والكفر (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع)

القسم الثالث

ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدى اليه من أناب

الآيات الى آخر السورة

ذكر أنهم طلبوا أن يأتيهم بمعجزة غير القرآن وقد أجابهم عن هذا بأربعة اجوبة أولها ان الاضلال والهداية من الله لا بالآيات التي يقترحونها . فالذين أراد الله ضلالهم لا يؤمنون به ولو أجيبوا الى ما اقترحوا . والذين أراد الله هدايتهم يكتفون بمعجزة القرآن وتطمئن به قلوبهم

ثانيها ان الله قد أرسله في أمة تختلف في حالها ومزاجها عن الامم التي خلت من قبلها . فلا تناسبها الا معجزة القرآن الذي يتلوه عليهم ليعجزهم بالفصاحة التي امتازوا بها عن غيرهم من الامم التي أتت اليهم معجزات رسلهم من جنس ما امتازوا به . وهذا القرآن الذي لا يرضون به لو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض او كلم به الموتى لم يكن غيره . فاذا لم يرجعوا عن تكذيبه فان الله يسلط عليهم المؤمنين فتذهب سراياهم الى ديارهم أو الى الديار القريبة منها فتختطف منهم وتصيب من مواشيهم حتى يأتي وعد الله بالنصر التام فيأخذهم كما اخذ من قبلهم ممن كانوا يستهزئون برسلهم بعد أن أملى لهم . وأنذرهم بعد ذلك في الآخرة عذابا اشق مما ينالهم

في الدنيا وللمؤمنين ماوعدهم الله من الجنة (تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار)

ثالثها ان ذلك القرآن يعرف انه من عند الله اهل الكتاب فيفرح به من آمن منهم وينكر بعضه عنادا من لم يؤمن منهم لان فيه من ابطال عبادة الاصنام مالا يمكنهم ان ينكروه

ورابعها ان الله انزله حكمة عربية ظاهرة وانما ينكرونها عنادا ويطلبون غيرها من الآيات اتباعا لاهوائهم التي لا يصح للنبي ان يتبعهم فيها وقد ارسل الله قبله رسلا كانوا بشرا مثله وما كانوا يأتون الا بالآيات التي يأذن بها الله لا التي يريدها اقوامهم. وان لآيات العذاب التي يطلبونها اجلا مكتوبا لا تتقدم عنه وقد يأتي بعضها في حياة النبي ويأتي بعضها بعد وفاته . وقد ظهرت علاماتها بتسليط المؤمنين على الكافرين يأتون ارضهم فينقصون من اطرافها وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار (ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب)

سورة ابراهيم

سميت هذه السورة بذلك لما فيها من ذكر ابرهيم ويقصد منها ماقصد بالسورة السابقة من الدعوة الى الايمان بالقرآن ولهذا افتتحت بمثل ماافتتحت به تلك السوره وتنقسم باعتبار هذا الغرض الى ثلاثة أقسام اولها فى انذارهم من الكفر به بعذاب الآخرة . وثانيها فى ذكر بعض ماجرى للامم السابقة بتكذيب رسلها لانذارهم به بعد انذارهم بذلك . وثالثها فى تهوين امرهم على النبي وبيان انه سيحبط اعمالهم كما احبط أعمال من قبلهم

القسم الاول

الر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور الآيات الى قوله تعالى

(وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) الآية

ذكر وظيفة القرآن وانه لاغرض له الا هدايتهم . وحذرهم من عذاب الاخرة التي يستحبون الدنيا عليها .

وبين لهم ان هذه كانت وظيفة كل رسول مع قومه بعث اليهم بمثل هذا القرآن ليهديهم « فيضل الله من يشاء يهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم »

القسم الثانى

ولقد ارسلنا موسى بآياتنا اذ اخرج قومك من الظلمات الى النور

الآيات الى قوله تعالى

يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ

ذكر لهم قصة موسى مع قومه ونبههم الى انباء من قبلهم من قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فيردون أيديهم فى أفواههم ويكفرون بما أرسلوا به ويشكون فى وجود الله الذى يدعونهم اليه وهو فاطر السموات والارض ويقولون لهم انتم بشر مثلنا فلم تمتازون بالرسالة علينا . ثم آذوهم وحاولوا إخراجهم من أرضهم فاهلكهم الله واسكن رسله الارض من بعدهم . وهكذا يخيب كل جبار عنيد (من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه) الآية

القسم الثالث

مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء

الآيات الى آخر السورة

(١)

لما فرغ مما تقدم شرع يهون عليه أمر قومه ويبين أن الله سيحبط اعمالهم كما أحبط أعمال من قبلهم وينصره عليهم ثم بين له أن الذى خلق السموات والارض قادر على هذا بل أن يشأ يذهبهم ويأت بخلق جديد ثم يبعثهم اليه فيقول ضعفاؤهم للذين استكبروا هل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء وقد كنا لكم تبعا فيعتذرون اليهم بأن الله لم يشأ هدايتهم ولو شاء لاهتدوا وهدوهم. أما الشيطان الذي أضلهم فيقول لهم لا تلوموني ولوموا انفسكم ما أنا بمغيثكم من عذاب الله وما انتم بمغيثي اني كفرت بما أشركتموني من قبل ان الظالمين لهم عذاب أليم (وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها بأذن ربهم تحيتهم فيها سلام)

(٢)

ثم ضرب مثلا للمؤمنين وثبات امرهم وللكافرين وحبوط اعمالهم فجعل المؤمنين كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء فلا يخشى عليها من شيء. وجعل الكافرين كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ليس لها أصل ولا عرق ومالها من قرار (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء).

(٣)

ثم بين أنهم يستحقون ذلك لأنهم بدلوا نعمة الله كفرا. فقد أسكنهم الله مكة التي دعا لها ابراهيم بالامن وسعة الرزق وأن يجنبها عبادة الاصنام فعبدوها وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله فليتمتعوا فان مصيرهم الى النار. وليقم المؤمنون بالصلاة لله وينفقوا مما رزقهم الله الذى خلق السموات والارض . . . . «وآتاكم من كل ماسألتموه وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ان الانسان لظلوم كفار»

(٤)

ثم ذكر دعاء ابراهيم لأهل هذا البلد تفصيلا بعد

الاشارة السابقة اليه وختمه بقوله « ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب »

(٥)

ثم بين للنبي ان الله ليس بغافل عما يعمل أولئك المشركون وانما يؤخرهم ليوم تشخص فيه ابصارهم ألخ فيجزيهم الله بما كسبوا أن الله سريع الحساب « هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو أله واحد وليذكر أولو الالباب »

سورة الحجر

سميت هذه السورة بذلك لذكر قصة أصحاب الحجر فيها . والغرض منها التنويه بشأن القرآن أيضا . وينقسم ماجاء فيها ألى مقصدين وخاتمة . فالمقصد الاول فى التنويه بشأن القرآن وتخويفهم من التكذيب به وتصبير النبي على استهزائهم به كما صبر غيره من الرسل على استهزاء شيع الاولين بهم . والمقصد الثاني فى بيان اخبار تلك الشيع وما جرى لهم بسبب تكذيب رسلهم . والخاتمة فى ان ماحصل لتلك الشيع سيحصل مثله لاولئك المشركين

(المقصد الاول)

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين

الآيات الى قوله تعالى

لا يمسهم فيها نصب وماهم منها بمخرجين

(١)

ذكر ان القرآن الذى انزل اليهم من البيان بحيث لا ينكره الا جاحد وانه سيأتي يوم يودون فيه لو كانوا قد آمنوا به . ثم أمر النبى ان يتركهم يأكلون ويتمتعون ويلهون عما قدر لهم فى كتاب معلوم (ماتسبق من أمة أجلها وما يستأخرون)

(٢)

ثم ذكر أنهم استهزؤا بالنبى حين أنذرهم بهذا ورموه بالجنون وطلبوا منه أن يأتيهم بالملائكة دليلا على صدقه . فاجابهم بأن ذلك لا يكون الا عند حصول الفائدة وقد علم الله انهم لا يؤمنون اذا أنزلوا . ثم أشار إلى أن تلك السفاهة عادتهم من قديم أذ لم يرسل رسولا فى شيع الاولين الا كانو به يستهزئون . وكذلك اراد الله ان يسلك هذا القرآن فى قلوب هؤلاء المشركين مقرونا بالاستهزاء فلا يؤمنون به ولو فتح الله

عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون « لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون)

« ٣ »

ثم ارشدهم الى ماهو اهدى من انزال الملائكة من خلق البروج فى السماء وتزيينها للناظرين ومن بسط الارض وانبات كل شيء موزون فيها .... ومن خلق الانسان من صلصال من حمأ مسنون وخلق الجن قبله من نار السموم . ثم ذكر كيف خلق الانسان « آدم » من صلصال تفصيلا لذلك الاجمال . وكيف امر الملائكة بالسجود له فسجدوا إلا أبليس أبى أن يكون من الساجدين . وكيف سلطه الله على من اتبعه من الغاوين الذين أعد لهم جهنم وجعل لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم . أما المتقون ففى جنات وعيون «لا يمسهم فيها نصب وماهم منها بمخرجين »

المقصد الثانى

نبيء عبادى أنى انا الغفور الرحيم

الآيات إلى قوله تعالى

فما أغنى عنهم ماكانوا يكسبون

ذكر فى هذا تفصيل ما اجمله سابقا من اخبار شيع لاولين بعد تمهيد ذكر فيه انه الغفور الرحيم وان عذابه هو العذاب الاليم ليعلم ان ما اصاب تلك الشيع من العذاب لاقسوة فيه لان الله كما انه غفور رحيم ذو عذاب اليم . فهو رحيم بعباده المؤمنين . وذو انتقام شديد على الكافرين. فشرح قصة رسل الله مع ابراهيم وقد بعثهم الله لاهلاك قوم لوط الخ الخ . وقصة اصحاب الايكة مع نبيهم شعيب. وقصة اصحاب الحجر مع نبيهم صالح وقد كذبوا به فاخذتهم الصيحة مصبحين (فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون)

الخاتمة

وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل

الآيات الى آخر السورة

ذكر ان اليوم الذى انذرهم به فاستهزؤا لابد من اتيانه لانه لم يخلق السموات والارض الا بالحق وبدونه يكون خلقهما باطلا. ثم امر النبى ان يصفح عنهم بعد هذا ولا ينظر الى ما متعوا به فى الحياة بعد ان اعطاه خيرا من

ذلك سبعا من المثانى والقرآن العظيم . وان ينذهم عذا
كالذى انزله على المقتسمين الذين اقتسموا القرآن فجعلوا بعضه
سحرا وبعضه شعرا كالوليد بن المغيرة وغيره . وان لا يضيق
صدره بهم بل يجب ان يحمد الله ويكون من الساجدين
(واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)

سورة النحل

سميت هذه السورة بذلك لذكر بعض أحوال النحل فيها . ويراد منها اثبات الاصول الثلاثة « التوحيد والنبوة والمعاد »

وقد افتتحت هذه السورة بآيتين تضمنتا هذه الاصول الثلاثة كتمهيد لما ذكر بعدها فى اثباتها ومجادلة المنكرين لها واختتمت بالاشارة إلى أن ماجاء به النبي في ذلك هو دين ابراهيم الذى هو بمنزلة الاصل لغيره من الاديان . وتعليم النبي آداب الدعوة والمجادلة التى ذكر بعضها فى هذه السورة . وبهذا ينقسم ما جاء فيها الى تمهيد ومقصد وخاتمة يعنى فى كل منها بما أشرنا اليه

التمهيد

أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون

« الآيتين »

تضمنت هاتان الآيتان ثلاث قضايا بمقدار تلك الاصول الثلاثة . اولاها ان يوم القيامة أصبح قريبا وأمره بيد الله فلا يصح لاحد استعجاله لانه لاشريك له فى افعاله الثانية أن النبوة حق والله ينزل الملائكة بالروح على من يشاء من عباده . والثالثة أن الله لا أله غيره

المقصد

خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون

الآيات الى قوله تعالى

ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا أن ربك من بعدها لغفور رحيم

« ١ »

ابتدأ بذكر ادلة التوحيد فى خلق السموات والارض وفى خلق الانسان من نطفة وفى خلق الانعام للبشر وفيها دفء لهم ومنافع كثيرة . وفى خلق الخيل والبغال والحمير

ليركبوها وتكون لهم زينة . ثم اشار الى ان ذكر تلك الادلة
يراد به قطع عذرهم والا فالهداية الى الطريق القويم من الله
ولو شاء لهداهم اجمعين. واستأنف بعد هذا سرد تلك الادلة
فذكر انزال الماء من السماء للشرب وسقى الشجر والزرع الى
غير ذلك مما تفرد بخلقه ولا يصح معه ان يكون مثله فى
الالوهة من لا يخلق من اصنامهم . والله مع هذا يعلم باطن
الانسان وظاهره وهى لا تعلم شيئاً بل هى مخلوقة له وجماد
لا يشعر بشيء . فالله واحد لا اله غيره وانما اصر أولئك الكفار
على الشرك لانهم لا يؤمنون بالآخرة وينكرون كل ما
يخالف اهواءهم ويستكبرون اذا دعوا الى قول غيرهم « لا جرم
ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين » .

٢

ثم ذكر من شبهاتهم على النبوة طعنهم على ما نزل على
النبي بأنه من اساطير الاولين ولم يجب عن هذه الشبهة هنا
لانه اجاب عنها فى سورة أخرى بل اقتصر على تهديدهم على
ذلك بأنهم يجنون على انفسهم به ويحملونها من الاوزار ما تنوء
به ثم لا يكون الا ان الله يعذبهم عليها في الدنيا ويخزيهم يوم

لقيامة . اما الذين قالوا فيما انزل الله خيرا فلهم فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة. فلينتظر أولئك المشركون أن تأتيهم الملائكة بذلك العذاب أو يأتي أمر الله به كذلك فعل الذين من قبلهم « فأصابهم سيئات ماعملوا وحاق بهم ماكانو به يستهزئون »

(٣)

ثم ذكر شبهة ثانية وهى انهم قالوا ان الاعاز الذي يدعو اليه والكفر الذى ينهى عنه بمشيئة الله ولا معنى مع هذا لارسال نبي . وقد اجاب عنها بأن وظيفة النبي التبليغ والارشاد آمن من يبلغهم أو لم يؤمنوا . وقد بعثه الله الى هذه الامة كما بعث فى كل أمة رسولا لارشادها فمنهم من اراد الله هدايته فاهتدى ومنهم من حقت عليه الضلالة فلم يمكن أن يهتدى (ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدى من يضل وما لهم من ناصرين)

(٤)

ثم ذكر أنكارهم للمعاد وشبهتهم فيه أنه لا يمكن بعث الشخص بعد موته وتفرق أجزائه . وقد اجاب عن هذا بجوابين أولهما أن البعث لابد منه ليتبين الحق من الباطل ويعلم الكافرون انهم كانوا كاذبين . وثانيهما أن الله قادر على كل

شيء يقول لشيء كن فيكون . ثم ذكر جزاء المؤمنين بعد الكافرين وأن لهم فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة اكبر منها فهم «الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون» .

« ٥ »

ثم استأنف الكلام فى النبوة فذكر شبهة اخرى وهى انهم قالوا ان الله لا يبعث رسولا من البشر . وقد أجاب عنها بأن الله لم يبعث قبل النبى الا رجالا مؤيدين بالبينات والزبر ثم هددهم على هذا المكر والكيد بأمور اربعة ان يخسف بهم الارض الخ الخ . . ولفت نظرهم الى قدرة الله على ذلك بخضوع كل شىء له فى السموات والارض (من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) .

الرد على الثنوية

(١)

ثم استأنف الكلام في التوحيد والرد على الثنوية وعباد الملائكة بعد أن رد فيما سبق على عباد الاصنام فنهى الاولين ان يتخذوا الهين اثنين اله الخير واله الشر لان كل شيء في السموات والارض لله فما بهم من نعمة فمنه ومايصيبهم من

شر لا يتوجهون فى كشفه ألى غيره . وذم عباد الملائكة وتماثيلها على اطلاقهم لها البحائر والسوائب وجعلها بنات لله فى حين انهم يكرهون البنات لانفسهم (ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم)

« ٢ »

ثم بين ان هذا ظلم وقسمة ضيزى ان يجعلوا الله ما يكرهون من البنات . وتصف السنتهم الكذب أن لهم الحسنى من البنين. وان الله لم يشأ ان يؤاخذهم عليه فى الدنيا وانما أجل ذلك الى الآخرة. وان مثل هذا الجهل حصل من أسلافهم قدما مع رسلهم اذ بعثهم الله اليهم فتولوا عنهم وزين لهم الشيطان اعمالهم « فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم . وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)

(٣)

ثم ذكر دلائل التوحيد ردا على الفريقين من انزال الماء من السماء لاحياء الارض بعد موتها: ومن خلق الانعام ليسقيهم من البانها ألى غير ذلك مما من الله به على عباده من النعم التى

يكفرون بها . ويعبدون من دون الله مالا يملك شيئا منها مما يجعلونه مثيلا لله الذى يتنزه عن الامثال . فهل يكون من لا يملك شيئا كمن يملك رزقا حسنا ينفق منه سرا وجهرا . وهل يكون الا بكم الذى لا يقدر على شيء واينما يتوجه لا يأتى بخير كمن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم . وكيف يكون له مثيل من آلهتهم وهو الذى يعلم غيب السموات والارض ومنه الساعة التى أصبح أمرها كلمح البصر . وهو الذى أخرجنا من بطون امهاتنا لا نعلم شيئا الخ فاذا كفروا به بعد هذا فقد جنوا على أنفسهم أذ يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها ويكفرون بها فلينتظروا يوم نبعث من كل امة شهيدا عليهم ثم لا يؤذن للكافرين فى الكلام ولا يستعتبون .... يوم نبعث من كل أمة شهيدا عليهم من انبيائهم ويجاء بالنبي شهيدا على أمته وقد قطع عذرهم . ونزل عليه الكتاب (تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين)

(٤٠)

ثم فصل هذا الاجمال وبين كيف كان تبيانا لكل شيء فذكر انه امر بالعدل ويندرج فيه كل الفروض . وبالاحسان

ويندرج فيه كل النوافل ومنها صلة الرحم . وانه نهى عن الفحشاء وهو مقتضى القوة الشهوانية . وعن المنكر وهو مقتضى القوة الغضبية : وعن البغى وهو مقتضى القوة الوهمية . فكان بهذا جامعا لما يتصل بالتكليف فرضا ونفلا وما يتصل بالاخلاق عموما وخصوصا . ثم امر بالوفاء بالعهد وهو اصل عظيم يندرج تحته كثير من الفروع . والعهد اما ان يكون بين الله والناس او بين الافراد بعضهم مع بعض أو بين أمة وآخرى فلا يصح لامة قوية ان تنقض عهد امة ضعيفة لانها تخالفها فى دين أو غيره فان هذا الخلاف إرادة الله ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة ثم نهاهم أن يعقدوا الايمان على عزم نقضها فتكون على دخل وان يشتروا بها ثمنا قليلا لايساوى ما عند الله لمن يفى بعهده ووعد الذين يصبرون على عهودهم ان يجزيهم اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون (من عمل صالحا من ذكر اوانثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانو يعملون)

(٥)

ثم انتقل من هذا التفخيم للقرآن الكريم الى دفع ما عندهم من شبهات يلقيها الشيطان فى قلوبهم اذا نظروا فيه ومهد

لهذا فأمر قارئه ان يستعيذ بالله من الشيطان لئلا يتولاه
كما يتولى اولئك المشركين فيحول بينه وبين الايمان به
بمثل هاتين الشبهتين. واولاهما انهم اذا رأوا أية تنسخ بأخرى
قالوا هذا من عند النبي جهلا بحكمة النسخ. وقد أجاب عن هذا
بأن النسخ له حكمة يعلمها الله ولا يكون الا لمصلحة الناس
الثانية ان بعض المرتدين قالوا ان الذي يعلمه هذا القرآن
سلمان الفارسي. وقد أجاب عن هذا بأنه اعجمي لا يمكن
ان يأتي بهذا القرآن العربي. ولكن من لا يؤمن بآيات الله
لا يهديه الله وله عذاب اليم. وهو الذي يكذب على الله لا
من يؤمن به. وهو الذي كفر بعد أيمانه فالكذب ليس ببعيد
عليه. وقد استثنى من هذا من اكره على الكفر وقلبه مطمئن
بالايمان فليس هذا من شأنه الكذب. اما من شرح بالكفر
صدرا فعليه غضب من الله وهو في الآخرة من الخاسرين. وهذا
بخلاف الذين هاجروا من بعد ما أكرهوا على الكفر فان الله
يغفر لهم (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل
نفس ما عملت وهم لا يظلمون)

(٦)

ثم ضرب الله لتأييد استحقاقهم ذلك العذاب مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها من كل مكان فقابلت ذلك بالكفر فاذاقها الله لباس الجوع والخوف . وبعث فيها رسولا من أهلها فكذبوه فاخذهم العذاب بما كانوا يظلمون . وهذا الوصف ينطبق على مكة وأهلها . ولذلك أمرهم أن يتركوا ذلك الكفر ويقابلوا ما أنعم الله على قريتهم بالشكر فيأكلوا مما رزقهم الله حلالا طيبا مالم يكن ميتة او دما أو نحوهما . ولا يقولوا هذا حلال وهذا حرام كذبا على الله فهو لم يحرم من ذلك شيئا الا على اليهود جزاء بغيهم (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا أن ربك من بعدها لغفور رحيم)

الخاتمة

أن ابرهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين الآيات إلى آخر السورة

ثم ذكر أن ذلك الشرك وجحد النعم لم يكن دين ابيهم ابرهيم وأن الله لم يرسل اليهم هذا النبي الا ليرجع بهم الى

ملته ومنها تعظيم يوم الجمعة لأن يوم السبت لم يشرع إلا لليهود ومع هذا نقضوا عهد الله واحلوا الصيد فيه . ثم أمر النبي أن يجادلهم بالحسنى وان لا يشتد عليهم اذا ظفر بهم ويصبر على اذاهم ولا يكن فى ضيق مما يمكرون « ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون »

سورة الاسراء

سميت هذه السورة بذلك لابتدائها بذكر قصة الاسراء . وهى واردة ايضا في بعض الغرض الذى سيقت له السورة السابقة مع تصرف فى المعاني والالفاظ . وتتفنن فى سوق الادلة ودفع الشبه . وقد جاء أولها فى دعوتهم الى الايمان بالنبي . وآخرها فى دفع بعض ماعندهم من شبه فى نبوته أو فيما جاء به . وبهذا تنقسم هذه السورة الى قسمين

القسم الاول

سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام

الايات الى قوله تعالى

تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وأن

من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفوراً .

(١٠)

ذكر في دعوتهم الى الايمان بالنبي أمرين أولهما أنه اسرى به ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى واخبرهم في النهار بما شاهده فيه وهذه معجزة من جنس المعجزات التي يطلبونها . ثم ذكر فضل المسجد الاقصى وانه بارك حوله وآتى موسى التوراة فاهتدوا بها واستقام لهم الامر حتى ضلوا فسلط الله عليهم قوماً أولي بأس شديد جاسوا خلال ديارهم وخربوا ذلك المسجد . ثم سلطهم عليهم ثانيا ليسوؤا وجوههم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً (عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً)

(٢٠)

ثانيهما أنه جاء بالقرآن الذي يهدي للتي هي أقوم مما تهدي اليه التوراة ، ومع هذا يدعون ان يمطر الله عليهم حجارة من السماء أو غير ذلك من آيات العذاب والشر وعندهم آية الليل والنهار

تغنيهم عن تلك الايات وقد فصل الله كل شيء يحتاجون اليه في معرفة الحق تفصيلا لا عذر لهم معه . فكل انسان مسؤول عن اعماله ولا تزر وازرة وزر أخرى . وما كان الله ليعذبهم بما يظلمونه حتى يبعث اليهم رسولا ويكثروا من الفسق والفجور فيدمرهم تدميرا . فأن الله يمتع للكافر اذا اراد العاجلة حتى يكثر فسقه : ومن ارادالآخرة وسعى لها شكر له سعيه . فيمد كلا منهما بما يريده وما كان عطاء الله محظوراً (أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا)

(٣)

ثم فصل ذلك الاجمال المذكور في قوله ان هذا القرآن يهدى للتي هي اقوم . فذكر من الاحكام التي جاء بها التوحيد وتحريم عبادة الاصنام . والاحسان الى الوالدين والاقرباء والمسكين وابن السبيل في غير تبذير ولا تقتير . وتحريم قتل الاولاد خشية الفقر وتحريم الزنا والقتل والاسراف في القصاص واكل مال اليتيم . ووجوب الوفاء بالعهد الى غير ذلك مما اوحى الى النبي من الحكمة . ومنه تحريم اتخاذ اله آخر مع الله من

الملائكة التي يقولون عنها انها بنات الله وابطلت عبادتها في السورة السابقة واعا اعيد ذلك هنا لان القرآن من سنته تصريف البيان للناس ليتعظوا ويتذكروا . ولو كان مع الله آلهة من تلك الملائكة لنازعوا امره مع ان كل شيء خاضع له من السموات السبع والارض ومن فيهن (وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا)

القسم الثاني

واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا

الايات الى أخر السورة

قلنا ان القسم الثاني في دفع الشبه وقد مهد لذلك ببيان سببها وهو عدم فهمهم للقرآن ونفورهم من التوحيد واتباع النبي الذي كانوا يزعمون انه مسحور اختلط عليه عقله بعد ان زعموا انه ساحر وضربوا له الامثال فضلوا فلم يمكنهم ان يهتدوا الى سبيل في امره. ثم ذكر شبهتين اولاهما فيما جاء به من البعث . وقد أجاب عنها بما أجاب ثم أمر أن لا يقابل هؤلاء المشركون على تلك الاساءات من رمي النبي بالسحر وتكذيبهم

له فى البعث بمثلها بل يقولوا التى هى احسن ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم وان يشأ يعذبكم، فاذا اراد عذابهم فان آلهتهم لا يستطيعون ان يكشفوا عنهم لانهم يرجون رحمة الله ويخافون عذابه مثلهم، وأن عذاب الله حقيق بأن يحذره كل أحد وما من قرية كافرة الا سيصيبها قبل يوم القيامة شىء منه (كان ذلك فى الكتاب مسطورا)

والثانية فى رسالته وان ليس له معجزات كغيره من الانبياء . وقد اجاب عنها بأن الله لم يرسله بتلك الآيات لانه علم انهم يكذبون بها كما كذب بها الاولون الخ وكما كذبوه حين اخبرهم بمصارعهم يوم بدر فصرعوا وحين اسرى به ورأى من أيات ربه ماراى فلم يؤمنوا وجعل الله هذه الرؤيا فتنة لهم كما فتنوا بشجرة الزقوم أيضا فقالوا كيف تحرق جهنم الحجر ويكون فيها شجر.. وأيضا قد رأى ابليس من آيات ربه ماراى ومع ذلك امره بالسجود لآدم فعصى حسدا له، وهؤلاء المشركون يحسدون النبى فلا يمكن ان تؤثر فيهم تلك الآيات

ثم ذكر مايدل على قدرة الله على ارسال تلك الآيات

وأهلاكهم بها من البحار التى خلقها لهم ولا يستغنون عن سير السفن فيها فهو يقدر ان يغرقهم فيها ولا يجدون غيره ينجيهم من الغرق الخ ولكنه لم يرد ذلك رأفة بهم بل كرمهم وحملهم فى البر والبحر آمنين وفضلهم على كثير من خلقه فى الدنيا ويوم القيـــــامة يدعو الله كل أناس مع نبيهم (فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرأون كتابهم ولا يظلمون فتيلا. ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة اعمى وأضل سبيلا)

ثم ذكر انهم كادوا يستفزونه بالترغيب فى طلب تلك الايات عن القرآن الذى هو معجزته ليفترى على الله شيئاً غيره يؤمنون به لولا ان ثبته الله كما ثبته على ما استعملوه معه من الترهيب وقد كادوا يخرجونه من مكة لولا ان منعهم الله من اخراجه حتى أمره بالخروج. ولو انهم أخرجوه لاهلكهم الله كما أهلك من قبلهم حينما أخرجوا رسلهم من ديارهم (سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا)

ثم امره ان لا يلتفت اليهم ويشتغل بعبادة الله من الصلاة والتوجه الى الله بالدعاء ليدخله اذا خرج من مكة مدخل صدق ويخرجه مخرج صدق ويجعل له من عنده سلطانا نصيرا (وقل

جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا)

ثم ذكر من فضل القرآن مالا يصح معه ان يعدل عنه إلى تلك الايات . فهو شفاء للناس ورحمة للمؤمنين ونعمة عظيمة ولكن هؤلاء المشركين يجحدون فضلها كما يجحدون فضل النعمة أذا كانوا فيها . فأذا زالت عنهم يئسوا من رجوعها اليهم . وكل من المؤمنين والمشركين يعمل على شاكلته ويفهم فى هذا القرآن ماتسول له نفسه (فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا)

ثم ذكر انهم سألوه عن ذلك القرآن (الروح) ماهو أشعر أم كهانة استخدما له فاجابهم بأمرين اولهما انه من الله وما اتوا به من العلم الذى استعظموه لا قليلا بجانب مالم ينزل اليهم . ومع هذا فلو شاء الله لذهب به ورد اليه تلك النعمة التى لم يعرفوا فضلها ولم يؤمنوا بها

ثانيهما انه لو كان شعرا او كهانة لامكنهم ان يأتوا بمثله مع انه لو اجتمع الانس والجن على ذلك لعجزوا عنه « ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا »

ثم ذكر ان الله لم يترك شيئا يمكن ان يهتدوا به الى

الايمان بذلك القرآن الا أنى به . ولكنهم ابوا الا كفورا
وطلبوا غيره ان يفجر لهم من الارض ينبوعا او يكون له
له جنة من نخيل وعنب أو يسقط السماء عليهم قطعا الخ الخ.
وقد اجاب عن ذلك بثلاثة اجوبة . أولها انه ليس الا بشرا
رسولا لا يمكنه ان يأتى بها من نفسه ولا ان يتحكم بها على
ربه . وانهم ينكرون أن يبعث الله بشرا رسولا مع انهم
ليسوا ملائكة فيجب ان يكون رسولهم منهم . ومع ان الله
قد شهد له بالرسالة بما انزله اليه من الآيات التى هدى اليها
من اراد هدايته فكان من المهتدين . ومن أضله عنها فلا هادى
له من دونه فى الحياة ويوم القيامة مأواه جهنم كلما خبت
زيدت سعيرا ذلك جزؤه بأنه كفر بتلك الآيات وانكر
ان يبعث بعد ان يصير عظاما خلقا جديدا الخ

ثانيها ان الله يعلم انه لو اعطاهم تلك الاشياء من
الانهار والعيون فكثرت بها اموالهم لبخلوا بها . فلا فائدة
فى اجابتهم اليها

ثالثها ان الله اعطى موسى مثل تلك الايات فلم يؤمن
بها فرعون فأغرقه ومن معه جميعا

ثم ذكر من فضل القرآن ثانيا ما ذكر وانهم ان يؤمنوا به اولا يؤمنوا فقد شهد بفضله من هو افضل منهم من الذين أوتوا العلم من قبله . وانهم ان يدعوا الله او الرحمن أو يسبوه كلما سمعوا المسلمين يذكرونه في صلاتهم[1] فلله الصفات الحسنى لا غيرها مما يسبونه به (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا)

سورة الكهف

سميت هذه السورة بذلك لذكر قصة أصحاب الكهف فيها . ويراد منها اظهار فضل القرآن الذي شغل الكلام فيه قسما عظيما من السورة السابقة ولكن بنوع آخر من البيان فقد كان يعنى هناك بأظهار فضل القرآن من حيث أنه يهدى للتي هي أقوم ويشتمل على تلك الاحكام التي مرت الخ

أما هنا فيعنى باظهار فضله بتلك القصص العجيبة التي ذكرت في هذه السورة . والتي سأله عنها كفار قريش بأيعاز

(١) هذا هو السبب في ذكر قوله ولا تجهر بصلاتك بعد قوله فلله الاسماء الحسنى

اليهود امتحانا لنبوته . فنزل بها القرآن تصديقا له

ولما كان ذلك هو الغرض من هذه السورة افتتحت بالتنويه بشأن القرآن كما اختتمت بالتنويه بشأنه. وتشتمل السورة باعتبار هذا على مقدمة وخاتمة ومقصد ذكرت فيه قصتان هما قصة اصحب الكهف وقصة ذى القرنين

المقــــدمة

الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا

الآيات الى قوله تعالى

وانا لجاعلون ماعليها صعيدا جرزا

ذكر أنه هو لذى أنزل القرآن على النبى كاملا فى ذاته لاعوج فيه لينذر الكافرين عامة عذابا شديداً . ويبشر المؤمنين عامة بأن لهم أجراً حسناً . وينذر بخاصة الذين قالوا اتخذ الله ولداً . فاذا لم يكفهم هذا القرآن فى الايمان به بل طلبوا منه تلك القصص امتحانا له فلا يليق به ان يحزن لعدم ايمانهم وان كانوا أصحاب القوة والثروة . فانما هى زينة وزخارف لا يليق به الا أن يرفضها كما رفضها أصحاب الكهف من قبله . وقد جعلها الله ليبلو العباد أيشكروها أم

يكفروها ثم يذهب بهاء وانا لجاعلون ماعليها صعيدا جرزا»

القصة الاولى

أم حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا

الايات الى قوله تعالى

خالدين فيها لا يبغون عنها حولا

(١)

ذكر اجمالا كيف آووا الى الكهف ومكثوا سنين عددا الى أن بعثهم الله ثم فصل ذلك الاجمال فذكر انهم فتية آمنوا بربهم قاموا بين يدى ملكهم فقالوا ربنا رب السموات والارض ثم اعتزلوا قومهم الى الكهف هربا منهم فضرب الله على آذانهم تلك السنين ثم بعثهم من نومهم وعثر عليهم قومهم فلما اماتهم الله تنازعوا فيهم قال (الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا)

(٢)

ثم ذكر أن الذين سألوه عن تلك القصة سيذكرون له فيهم أمرين لا علم لهم بهما أولهما فى عددهم الذى تنازعوا فيهم فقال بعضهم انهم ثلاثة رابعهم كلبهم الخ. وقد أمر النبى أن

يجيبهم عن هذا بأن الله اعلم بعددهم مايعلمهم الا قليل . ونهى أن يزيد عن هذا فى جدالهم وأن يستفتيهم فيه وان يقدم على شيء من هذا أو غيره حتى يأذن الله فيه ليكون على علم به فلا يرجم بالغيب كما يرجم هؤلاء فى تعيين ذلك العدد . وعسى الله أن يهديه لاقرب من اقوالهم فيه رشدا

ثانيهما فى مدة لبثهم فى الكهف اذ قال بعضهم انهم لبثوا فيه ثلثمائة سنة وزاد بعضهم تسعا عليها وقال بعضهم غير ذلك والله اعلم بما لبثوا « له غيب السموات والارض أبصر به واسمع مالهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه احدا »

(٣)

ثم امر النبى ان يتلو هذه القصة ليتدبرها ويكون كأصحاب الكهف فلا يحزن اذا لم يصدقه اغنياء قومه ويرضى بفقرائهم الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى ولا يطيع فيهم هؤلاء الاغنياء الذين لا يذكرون الله ولا يهمه امرهم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ان الله اعد للكافرين نارا احاط بهم سرادقها والمؤمنين جنات عدن تجرى من تحتها الانهار نعم الثواب وحسنت مرتفقا . ثم امر ان يضرب لهم امثالا اربعة

توضح لهم ان الافتخار لا يصح ان يكون بكثرة الاموال بل بطاعة الله وعبادته . وان الواجب ان يتواضع الغنى للفقير والكبير للصغير ولا يتكبر عليه

واولها

مثل رجلين جعل الله لاحدهما جنتين من اعناب واحاطهما بنخيل وجعل بينهما زرعا . فافتخر بهما على صاحبه وقال له انا اكثر منك مالا واعز نفراً . وظن ان جنتيه لن تبيدا وان الساعة لا تقوم . فقال له صاحبه اكفرت بالذى خلقك ولم تشكره على ما أعطاك من جنتيك اللتين عسى ربى ان يؤتينى خيرا منهما ويرسل عليهما صواعق من السماء فتصبحا ارضا ملساء او يصبح ماؤهما غائرا فلن تستطيع له طلبا . وقد حقق الله ما قدره فأهلك جنتيه فأصبح يقلب كفيه على ما انفق فيهما ويقول ياليتنى لم اشرك بربى احدا . ولم يجد من ينصره من دونه فى نكبته وشدته . وهكذا فى كل النكبات تكون الولاية لله الحق « هو خير ثوابا وخير عقبا »

ثانيها

مثل الحياة الدنيا كماء انزله الله من السماء فنبا به النبات حتى اختلط بعضه ببعض ولم يلبث ان جف حتى تكسر النبات واصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً. فالحياة الدنيا سريعة الزوال. والمال والبنون منها فهي سريعة الزوال مثلها. والاعمال الصالحة خير عند الله منها وفي يوم القيامة اذ يحشر الناس كما خلقوا اول مرة لا مال ولا ولد ولا يجدون امامهم الا كتاب اعمالهم لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها « ولا يظلم ربك احداً »

ثالثها

مثل ابليس مع آدم اذ تكبر عليه وافتخر بأصله وعصى امر ربه فلا يليق ان يقتدوا به في ذلك ويتخذوه وذريته اولياء من دون الله الذي خلق السموات والارض ويوم القيامة يدعونهم فلا يستجيبون لهم ثم يرون النار فيظنون انهم واقعون فيها ولا يجدون عنها مصرفا. كيف يجدونه وقد صرف الله لهم في القرآن كل مثل ليؤمنوا فأبوا الا العناد وطلبوا غير هذا ليؤمنوا أن تأتيهم سنة الاولين او يأتيهم

العذاب عيانا. مع ان الرسل لم يبعثوا الا مبشرين ومنذرين وانما يجادل هؤ المشركون بالباطل ليدحضوا الحق لذى جاءهم واتخذوا آياته التى هى احسن مما طلبوه هزوا . ولو يؤخذهم الله بما كسبو لعجل لهم ذلك العذاب الذى طلبوه ولكنه غفور ذو رحمة لم يشأ ان يعاجلهم به بل جعل لهم موعدا لن يجدوا من دونه موئلا » وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً »

رابعها

مثل موسى وتواضعه مع علو منصبه لرجل من عباد الله كان اقل منه ولكنه على علم من ربه . وقد قص الله كيف طلبه مع فتاه حتى التقى به واتبعه على ان يعلمه مما علمه ربه فرضي بذلك على ان لا يسأله عن شيء حتى يحدث له منه ذكراً : ثم ركبا فى السفينة فخرقها فقال له موسى أخرقتها لتغرق اهلها ونسى ما اتفقا عليه الخ ثم اخبره عن السر فى خرق السفينة وقتل الغلام واقامة الجدار بدون أجر وأنه ما فعل ذلك الا عن امر الله (وما فعلته عن امرى ذاك تأويل مالم تسطع عليه صبرا)

القصة الثانية

هى قصة ذى القرنين الذى مكن الله له فى الارض حتى بلغ مغرب الشمس فوجدها كأنها تغرب فى البحر (عين حمئة) وبلغ مشرقها فوجدها تشرق على قوم عراة وبلغ بين السدين فوجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا. فقالوا له أن يأجوج ومأجوج مفسدون فى أرضهم وطلبوا منه ان يجعل بينهم وبين هؤلاء القوم سورا فبناه لهم ثم تركهم يموج بعضهم فى بعض الى ان ينفخ فى الصور فيجمعون إلى الحشر ثم تعرض جهنم على الكافرين الذين اعرضوا عن القرآن وطلبوا تلك القصص واتخذوا من دون الله أولياء فكانوا أخسر الناس أعمالا. أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات الفردوس خالدين فيها لا يبغون عنها حولا

ثم نوه بشأن القرآن في الختام كما نوه به فى ابتداء السورة فذكر بعد ان حكى تلك القصص العجيبة ان هذا قليل من كثير. ولو كان البحر مداداً لكلمات الله لنفد قبل ان تنفد ولو جيء بمثله مددا. ولا يمكن ان يكون هذا من عند النبي لانه ليس الا بشرا مثلهم اوحى اليه انه

ألههم اله واحد« فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا»

سورة مريم

سميت هذه السورة بذلك لذكر قصة مريم فيها. والغرض منها بيان ما كان عليه رسل الله وأولياؤه فى تواضعهم لما يتلى عليهم من آيات ربهم وعدم تكبرهم عليها كما يتكبر هؤلاء المشركون ولا يرضون أن يؤمنوا الا أن يطرد النبى الفقراء من أصحابه . والمضى فى ذلك القصص العجيب تقريرا لسعة كلمات الله التى ينفد البحر لو كان مداداً لها ولا تنفد . وبهذا تنقسم هذه السورة إلى قسمين أولها فى ذكر قصص اولئك الانبياء والاولياء تفصيلا . وثانيهما فى تذييلها بما يوافق الغرض المقصود من ذكرها

القسم الاول

كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا الآيات إلى قوله تعالى (ورفعناه مكاناً عليا)

ذكر فى هذا المقام ست قصص أولها قصة زكريا. ثانيها

قصة مريم . وثالثها قصة ابراهيم مع أبيه وقومه . ورابعها قصة موسى . وخامسها قصة اسماعيل وسادسها قصة ادريس الذى كان صديقا نبياً (ورفعناه مكانا علياً)

القسم الثانى

أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم (الآيات إلى آخر السورة)

(١)

ذكر أن هؤلاء الانبياء والاولياء كلهم كانوا إذا تتلى عليهم آيات الله خروا سجداً وبكيا . ثم أتى من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يعذبهم الله إلا من تاب وآمن فأولئك يدخلون الجنة التى يورثها الله من يشاء من عباده . وينزلون فيها مايشاؤن بأذن ربهم وما كان الله لينسى أعمالهم فاذا شك انسان فى ان يحيا بعد الموت ليلاقي هذا الجزاء فليذكر أن الله خلقه من العدم ولم يك شيئا الخ

(٢)

ثم ذكر أن هذا الخلف بعد ان اضاع الصلاة واتبع الشهوات اذا تتلى عليه آيات الله شمخ بأنفه مغترا بما عنده

من مال وأثاث وكم أهلك الله قبله من أقوام كانوا أغنى منه وانما يمد لهؤلاء حتى اذا رأوا مايوعدون فسيعلمون أنهم دون من يشمخون عليهم باموالهم « والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا »

(٣)

ثم ذكر أن منهم من يبالغ فى الغرور ويظن ان له خير الدنيا والآخرة ان كانت كأنه أطلع الغيب أو اتخذ عند الرحمن عهدا . وأنهم اتخذوا من دون الله الهة يزعمون أنها ستكون لهم يوم القيامة عزاً مع أنها ستكفر بعبادتهم وتكون عليهم ضداً ولكن الشياطين هى التى توسوس لهم بهذا مع أن الله يمهلهم ثم يحشرهم فلا يملكون الشفاعة الامن اتخذ عند الرحمن عهداً . وأنهم قالوا أيضا أن للرحمن ولداً من الملائكة التى يعبدونها فلا يمكن أن يهان يوم القيامة من يعبدها . وهذا قول منكر تكاد السموات والارض تتشقق منه وتخر الجبال هدا . وما من معبود لهم يوم القيامة من الملائكة وغيرها الا ويأتى الله عبدا . ثم يحضر كل واحد من هؤلاء المشركين وليس معه من تلك المعبودات احد أما المؤمنون

فسيكونون بخلاف هذا ويجعل لهم الرحمن وداً يشفع به بعضهم فى بعض

ثم ختم السورة بأن هذا القرآن الذى يحتقرونه إذا يتلى عليهم من الله وبتيسيره انزله على النبى ليبشر به المتقين وينذر به قوما لدا « وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا »

سورة طه

سميت بذلك لابتدائها بهذا الاسم وهو فى لغة عك يعنى رجل ويراد منها بعد أن ذكر في السورتين السابقتين أن أشراف المشركين لم يؤمنوا بالنبى تسليته على عدم إيمانهم بهوانه لايصح ان يشقي بذلك ولهذا افتتحت بذكر ذلك كما اختتمت بأمره بالصبر على اذاهم دلالة على ان هذا هو المقصود منها. وقد ذكر بين الفاتحة والخاتمة قصة موسى بما فيها من ضروب الفتن والمحن التى حصلت له ليكون فى هذا تسلية للنبى بعد تلك التسلية ثم ذيلت بأصناف من الوعيد تسلية له أيضا وتهديداً لهم ليرتدعوا ويؤمنوا . وبهذا تنقسم هذه السورة إلى أربعة اقسام

كل قسم منها فى ناحية من تلك النواحى التى اشرنا اليها

القسم الاول

طه ما أنزلنا عليك القران لتشقى

الايات الى قوله تعالى

الله لا أله الا هو له الاسماء الحسنى

ذكر أنه لم ينزل عليه القرآن ليشقى بعدم ايمانهم به بل ليذكرهم به آمنوا أو لم يؤمنوا وهو ليس الا تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى... (الله لا أله الا هو له الاسماء الحسنى)

القسم الثانى

وهل أتاك حديث موسى

الايات الى قوله تعالى

انما ألهكم الذى لا أله الا هو وسع كل شىء علما

ذكر قصة موسى وكيف كان اصطفاء الله له ثم قص ماجرى له مع فرعون الى ان أغرقه الله . وما جرى له مع قومه بعد هذا ومع السامرى الذى أضل بنى اسرائيل فى غيبة موسى الخ

القسم الثالث

كذلك نقص عليك من انباء ماقد سبق وقد آتيناك
من لدنا ذكراً

الايات الى قوله تعالى

ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى

(١)

ذكر أن هذا القرآن الذي يقص عليه تلك الانباء ماهو
الا ذكر عظيم من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا
وقد يقولون اذا صح انا نحشر وتنقضي الدنيا فأين تذهب
تلك الجبال العظيمة . والجواب ان الله ينسفها نسفا . ويومئذ
يدعون الى الحشر فيجيبون وتخضع الوجوه للحى القيوم
ويخيب الظالمون ولايخاف المؤمنون ظلما ولا هضما . ثم ذكر
أن الله أنما يفصل لهم الوعيد هذا التفصيل ليتقوا والا يحدث
لهم ذكرا. يعنى حدثاً عظيماً أمر النبي بانتظاره فقال (ولا تعجل
بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه وقل ربى زدنى علما)

(٢)

ثم ذكر تأييدا لهذا أن الله عهد الى ادم ان يجعل الجنة

سكنا له بشرط أن لا يأكل من الشجرة التي نهاه عنها والا يخرجه منها فلما أكل منها أخرجه علي عظم منزلته عنده لانه لايخلف وعيده كما لايخلف وعده فمن يتبع هداه فلا يضل ولا يشقي . ومن يعرض عنه فأنه يعيش فى الدنيا معيشة ضنكا ويوم القيامة يحشر اعمي. وكذلك يجزى الله كل من اسرف ولم يؤمن بايات ربه من هؤلاء المشركين وغيرهم ولو انهم نظروا فيمن أهلكهم الله من قبلهم لعلموا ان ذلك الحدث الذى يوعدون به لا بد أن يحصل لهم (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى)

القسم الرابع

فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها

الايات الى آخر السورة

امره بالصبر بعد أن سلاه وان يستعين بالله وتسبيحه فى تلك الاوقات ليفوز بالرضا . ونهاه ان يمد عينيه الى مامتعهم به من الاموال والاولاد فما عند الله خير وابقى . وأمره أن يقوم بوظيفته من وعظ أتباعه وحثهم علي فعل الصلاة وهو يتكفل

برزقه ويجعل العاقبة له على اعدائه (والعاقبة للتقوى)

ثم ذكر أنهم يطلبون اية من ايات العذاب الذى اوعدهم به وامر النبي بانتظاره كأن عذاب الله ام يحصل لمن قبلهم ولم تأتهم اخباره في الصحف الاولى. ولوان الله اهلكهم بعذاب قبل أن يرسل اليهم لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا ينذرنا بذلك العذاب فنتبعه ولا نذل ونخزى (قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى)

سورة الانبياء

سميت هذه السورة بذلك لانه اجتمع فيها على قصرها من اخبار الانبياء مالم يجتمع فى غيرها. وقد جاء فى آخر السورة السابقة ان أولئك المشركين اقترحوا على النبي آية عذاب وكان فيما أجابهم عن اقتراحها انها آتية فليرتقبوها فسيعلمون أى الفريقين على الصراط السوى. فجاءت هذه السورة وأولها فى بيان قرب يوم ذلك العذاب وحسابهم فيه وآخرها فى تعيين ذلك الصراط السوى وأنه التوحيد الذى جاء به الانبياء الذين ذكرهم فى هذه السورة. وهى تنقسم

الى قسمين كل منها فى ناحية من تينك بهذا الناحيتين

القسم الاول

اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون

الايات إلى قوله تعالى

ونضع الموازين القسط ليوم القيامة (الآية)

(١)

ذكر انه قد اقترب اليوم الذى يحاسبون فيه وهو الذى انذرهم به فى السورة السابقة ومع هذا فهم ماضون فى غفلتهم. وكلما جاءهم النبى بما يذكرهم من القرآن قال بعضهم لبعض انه بشر مثلنا وماقرآنه الا سحر وتمويه . والله يعلم انه ليس كذلك وهو يعلم حقائق الاقوال فى السماء والارض وهو السميع العليم . ثم قالوا أنه أضغاث احلام أو افتراء من نفسه أو هو شعر وتزويق فيجب ان يأتيهم بآية مثل التى أتى بها الرسل من قبله . وقد أجاب عن هذا بأن الامم التى جاءتهم تلك الآيات لم يؤمنوا بها فكذلك هم . وبأنه اذا كان بشرا مثلهم فكذلك كان الرسل الذين كانوا ينذرون بمثل ماينذر به فصدقهم الله وعده وأهلك المسرفين من

قومهم . فكم قصم من قراهم التي كانوا يركضون منها عند نزول العذاب فيقال لهم لا تركضوا وارجعوا إلى مساكنكم لعلكم تسألون . وهناك يقولون ياويلنا انا كنا ظالمين (فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين)

(٢)

ثم ذكر أن ذلك كان عدلا لانه لم يخلق السماء والارض وما بينهما عبثا . بل لغاية من سار فى طريقها نجا ومن ضل عنها هلك . ولو كان يخلق شيئا للهو لاتخذ ذلك ممن عنده من الملائكة ولم يتخذه من الانس . وكيف يجوز عليه اللهو وهو الذى يقذف بالحق على الباطل فيزهقه وله من فى السموات والارض ومن عنده من الملائكة لايستكبرون عن عبادته و لاينقطعون (يسبحون الليل والنهار لايفترون)

(٣)

ثم ذكر أن هؤلاء الملائكة لايمكن ان يكونوا شركاء لله أو اولادا يلهو معهم والا لاختلفوا معه وفسد ملكه وانما هم عباد مكرمون . وحالهم فى الوعد والوعيد كغيرهم من العبيد فمن يقل منهم انى أله يجزى بجهنم كما يجزى غيره .

وكيف يكون لله شريك او ولد وهو الذي فصل السماء من الارض وكانتا قبل ملتصقتين الخ (وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون)

(٤)

ثم رجع الى أصل الكلام فذكر انه لا يمكن ان يخلد احد لا النبي ولا هؤلاء المشركون الذين يستهزئون به على ذمه آلهتهم وهم أحق بالاستهزاء لانهم يكفرون بالله الذى لا إله غيره : واذا كان الامر كذلك فلا بد من ذلك العذاب الذي ينذرهم به عاجلا او آجلا ولكنه الانسان خلق من عجل ولو يعلمون ما أعد لهم فيه ما استعجلوه . ولقد استهزأ من قبلهم به فحاق بهم ما كانوا به يستهزئون . وان الله هو الذى يحفظهم بالليل والنهار فاذا اراد عذابهم منع عنهم حفظه فلا ينفعهم منه آلهتهم وقد سلط المسلمين عليهم ينقصون من ارضهم فلا يمكن ان يكونوا هم الغالبين

(٥)

ثم ذكر انه ينذرهم بذلك العذاب عن وحى فلا يمكن ان ينجوا منه ولكنهم صم لا يؤثر فيهم انذار به مع انهم

اذ امسهم قايل منه يقولون ياويلنا أنا كنا ظالمين (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة) الآية

القسم الثانى

ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكر اللمتقين الآيات الى آخر السورة

جرى الكلام فى هذا القسم فى مقامين اولهما فى سرد قصص الانبياء الذين ذكرهم والثانى فى تذييله ببيان الغرض منه

وقد ذكر في المقام الاول عشر قصص أولها قصة موسى وهرون . ثانيها قصة ابراهيم مع قومه . ثالثها قصة لوط . رابعها قصة نوح . خامسها قصة داود وسليمان . سادسها قصة أيوب . سابعها قصة اسماعيل وادريس وذى الكفل وثامنها قصة يونس صاحب الحوت . وتاسعها قصة زكريا . وعاشرها قصة مريم التى احصنت فرجها « فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين »

المقام الثانى

ثم ذكر أن هذه الطوائف من الانبياء وهى الاروزمة التى ينتمون اليها كانت أمة واحدة على دين واحد هو دين

التوحيد وانما تفرقوا من بعدهم والى الله مصيرهم. فمن يتمسك بهذا الدين ويعمل من الصالحات فلا كفران لسعيه. ومن ينحرف عنه ممن أهلكهم الله فى الدنيا على تكذيبهم برسلهم فلا بد من رجوعهم الى الله حتى اذا حشروا اليه عند قيام يأجوج ومأجوج وهو من اشراط الساعة نادوا بالويل مما يرون وشهدوا انهم كانوا ظالمين. وهكذا يكون مآل هؤلاء المشركين وما يعبدونه من دون الله ان يكونوا حصب جهنم هم لها واردون. أما المؤمنون فيبعدون عنها ولا يحزنهم الفزع الاكبر يوم تطوي السماء ويعيد الله الخلق كما بدأه: وكيف لا يكون هذا وذاك وقد كتب الله فى الزبور من بعد التوراة أن الارض يرثها اولئك المؤمنون فليتدبر المشركون قبل ان ينجز الله وعده وفى هـذا كفاية لقوم يعلمون. وليعلموا ان الله لم يرسل النبي الا رحمة لهم ولا يريد منهم الا أن يسلموا لله وحده فان آمنوا فبها والا فأنه قد اعذر اليهم ولا يدرى اقريب أم بعيد ما يوعدون فان الله هو الذى يعلم وقته وحده ولعل ابهامه فتنة لهم ومتاع الى حين « قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون »

سورة الحج

سميت هذ السورة بذلك للكلام على الحج فيها. وقد ختمت السورة السابقة بتهديد المشركين بالفزع الاكبر يوم القيامة . وبتسليط المسلمين عليهم فى الدنيا بالقتال والاستيلاء على البلاد . فجاءت هذه السورة وأولها فى شرح ذلك الفزع الأكبر وان من يعرفه لايليق به أن يجادل فى الله بغير علم أو يعبده على حرف . وآخرها فى أذن المؤمنين بالقتال لفتح تلك البلاد التى اخرجوهم منها وصدوهم عن دخولها لاداء مناسكهم فيها . فهى تنقسم إذاً إلى قسمين كل قسم منها في ناحية من تينك الناحيتين

القسم الاول

يأيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شىء عظيم

الآيات إلى قوله تعالى

وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد

(١)

أمر الناس أن يتقوا ربهم لينجوا من فزع يوم القيامة

اذ تزلزل الأرض زلزالا عظيما تذهل منه كل مرضعة عن رضيعها (وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد)

(٢)

ثم ذكر انه مع هذا يوجد من يجادل فى الله وينكر ذلك البعث بغير علم مع ان الله خلقهم من تراب ثم من نطفة الخ فهو قادر على بعثهم كما قدر على خلقهم. ومنهم من يجادل في الله ليضل الناس عن سبيله . ومنهم من ينافق فيعبد الله على شك من العاقبة فان أصابه خير اطمأن به . وان اصابته فتنة انقلب على وجهه . يدعو من دون مالا يضره وما لا ينفعه (يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير)

(٣)

ثم ذكر المؤمنين بعد الكافرين وجزاءهم فى ذلك اليوم ونصرهم فى الدنيا وان ظن الشاكون فى أمرهم أنهم ان ينصروا. وأن الله يجمعهم فى ذلك اليوم مع اليهود والصابئين والنصارى والمجوس والمشركين ويفصل بينهم بعد ان اختصموا في ربهم . فالكافرون تقطع لهم ثياب من نار والمؤمنون يدخلهم

الله جنات يحلون فيها من أساور من ذهب . . . (وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد)

القسم الثاني

أن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الآيات الى آخر السورة

(١)

مهد للاذن فى قتال المشركين ببيان انهم يصدون المسلمين عن المسجد الحرام مع ان الله جعله للناس سواء . وأنهم يلحدون فيه بعبادة الاصنام مع ان ابراهيم حين بناه امر ان لا يعبد فيه غير الله . وان يشرع للناس الحج اليه ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله ويطعموا البائس الفقير . وكذلك يعظمون حرمات الله فيه فلا يستبيحون صيده والانعام حلال لهم فيه إلا ما استثنى منها فى سورة المائدة وكذلك يجتنبون الاوثان والتلبية لها ويعظمون شعائر الله وهى هدايا الحرم ينتفعون بها الى أن يحل نحرها ... (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها » الاية

(٢)

ثم ذكر ان الله لا يترك المؤمنين ممنوعين من حرمه بل

يدافع عنهم هؤلاء المشركين ويأذن لهم فى قتالهم ولولا أن يدفع الله أهل الباطل بأهل الحق لتهدمت بيوته من المساجد وغيرها . ثم وعدهم بالنصر وبين انهم يستحقونه لانه ان مكن لهم فى الارض (اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور)

(٣)

ثم ذكر انهم أن يكذبوه فى هذا الوعد فقد كذبت قبلهم قوم نوح وغيرهم فأمهلهم الله ثم اخذهم فأهلك قراهم وأنهم ليرونها فى اسفارهم ولا يتعظون لعمى قلوبهم وأنها لاتعمى الابصار (ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور)

(٤)

ثم ذكر انهم يستعجلونه به ولن يخلف الله وعده وأن أملى لهم . فالذين آمنوا لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا فى ابطال آيات الله اولئك اصحاب الجحيم . وهذا كما سعى بعضهم عند مانزلت سورة النجم فقرأ النبى (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى) فقال هو تلك الغرانيق العلى

وان شفاعتهن لترتجى . والقى ذلك فى وسط قراءة النبى بحيلة
شيطانية ظن المشركون معها ان هذا من القرآن ففرحوا
وهكذا كان لكل رسول شيطان من الانس اذا قرأ القى فى
قراءته مثل ذلك فينسخ الله ما يلقيه ويحكم اياته والله عليم
حكيم . وانما يفعل الله ذلك ليختبر به مرضى القلوب وانه لهادى
الذين آمنوا الى صراط مستقيم . ويترك غيرهم فى
فى شكهم بما يوعدون به حتى يأتيهم بغتة فى يوم يكون الامر
فيه لله يحكم بينهم فالمؤمنون فى جنات النعيم (والذين
كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين)

(٥)

ثم ذكر جزاء المهاجرين فى ذلك اليوم وحدهم تشريفا
لهم فوعد بأنه يرزقهم رزقا حسنا ويدخلهم مكة مدخلا
يرضونه وهو الذى يولج الليل في النهار ويعلم انهم على الحق
واعداؤهم على الباطل وهو الذى ينزل من السماء ماء ... (وهو
الذى احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور)

(٦)

ثم ختم السورة بقطع اطماعهم فى عدول النبى عن دعوته

وترك قتالهم فبين ان لكل امة شريعة لا يمكن الا ان تعمل بها ونهى النبي ان يضعف فى مجادلتهم او ينقطع عن دعوتهم فأن ابوا الا العنادفليس عليه الا أن يحذرهم ممايعملون مما يعلم الله به ويكتبه لهم الى يوم القيامة (الم تعلم ان الله يعلم ما فى السماء والارض ان ذلك فى كتاب ان ذلك على الله يسير)

(٨)

ثم مضى على سبيل التمرين قليلا فى تلك الدعوة فبين أنهم يعبدون من دون الله مالا دليل لهم عليه ثم لا يرضون بما يأتيهم من الايات البينات على ان الله لا أله غيره ثم ضرب لهم مثلا بين لهم فيه أن آلهتهم لاتقدر على خلق الذباب الخ ثم ذكر انه يصطفى لدعوته من يشاء من الملائكة والناس بما يعلمه من حالهم وإليه ترجع الامور . ثم امر المسلمين ان يستعينوا عليهم بالله وأن يمضوا فى جهادهم الذى اذن لهم فيه بعد ان اختارهم لنصرته واعطاهم دينا لاحرج عليهم فيه هو دين ابيهم ابراهيم . . . (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير)

سورة المؤمنين

سميت هذه السورة بذلك لافتتاحها ببيان صفات المؤمنين التى بها يفلحون على اعدائهم بعد أن اذن لهم فى قتالهم فى السورة السابقة . وقد ذكر فيها بعد هذا أخبار الاولين الذين كذبوا رسلهم فأهلكهم الله وأن اولئك المشركين سيغلبون مثلهم وبهذا تنقسم هذه السورة إلى ثلاثة أقسام

القسم الاول

قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون
الآيات الى قوله تعالى (وعليها وعلى الفلك تحملون)

بين الصفات التى بها يفلح المؤمنون على اعدائهم وهى ستة أولها الخشوع فى الصلاة الخ : وأن أصحاب تلك الصفات هم الوارثون « الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون »

ثم ذكر من نعم الله ما يؤكد القيام بتلك التكاليف فبين انه خلق الانسان من سلالة من طين الخ ثم خلق لهم الانعام فيها منافع كثيرة ومنها يأكلون (وعليها وعلى الفلك تحملون)

القسم الثانى

ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله

الآيات الى قوله تعالى

يا أيها الرسل كلوا من الطيبات « الآية »

ذكر من قصص الاولين قصة نوح مع قومه ثم قصة قرن انشأه الله بعدهم « عاد أو ثمود » . ثم قصة قرون جاءت بعد هؤلاء قرنا بعد قرن . ثم قصة موسى مع فرعون وقومه ثم قصة عيسى مع أمه وكيف آواهما الى ربوة ذات قرار ومعين وقال لهما « يأيها الرسل كلوا من الطيبات) الآية

القسم الثالث

وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون

الآيات الى آخر السورة

ذكر أن هذه الطوائف التي اهلكها الله وهي أرومتهم التي ينتمون اليها كانت واحدة في الشرك الذي ذهبت فيه مذاهب مختلفة كل حزب بما لديهم فرحون . فما حصل لهم بسببه سيحصل لهؤلاء المشركين وانما هم غافلون يحسبون ان مايمدهم الله به من مال وبنين خيرات يعجل لهم بها وليست الا استدراجا لهم . وانما الخيرات مايسارع فيه المؤمنون من خشية الله والايمان بآياته ونحو ذلك من الاعمال التي

لايكلفهم الله الا بما فى وسعهم منها والمشركون فى غفلة منها « ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون » .

ثم ذكر انه قد أخذهم بطرف من ذلك العذاب فى سنى القحط فصرخوا منه ولجئوا الى النبي فى دفعه ونسوا انه كان ينذرهم به فيكذبون ويستهزئون . كأنهم لم يتدبروا امره اوكان النبي جاءهم بما لم يأت به احد من قبله او كأنهم لم يعرفوا انه ذلك الرسول الذي بشروا به الخ . ولو ان الله غفر لهم كل هذا وكشف عنهم القحط لعادوا الى طغيانهم كما اخذهم بالعذاب يوم بدر فلم يستكينوا لربهم حتى اخذهم بذلك القحط ففتح عليهم (بابا ذا عذاب شديد اذاهم فيه مبلسون)

ثم ذكر ان الله الذى لم يستكينوا له بعد هذا العذاب هو الذى انشأ لهم السمع والابصار وغيرها من النعم التي لم يشكروه عليها فابتلاهم بذلك القحط ليعرفوا قدرها . وهو الذي خلقهم ثم يحشرهم اليه ليذوقوا كل العذاب الذى اوعدوا به . وهو الذى يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار فيحسبانا يقدر على ذلك الحشر كما قدر على هذا ولكنهم لايعقلون . بل يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون . مع ان

الله له الارض والسموات وبيده كل شيء ولا شريك له من ولد او غيره ‹‹ عالم الغيب والشهاده فتعالى عما يشركون ››

ثم امر النبي ان يدعو ربه ان ينجيه من ذلك العذاب اذا لحق بهم : واخبره بأنه قادر على ان يريه ما يعدهم من عذابهم فاذا كانت هذه عاقبتهم فليحتمل أذاهم ويستعذ بالله من الشيطان ان يؤثر عليه فيغضب عليهم فسيندمون اذا جاءهم الموت ويتمنون أن يردوا ليعملوا من الصالحات ما فاتهم فلا يجابون ويتركون فى برازخهم الى ان يبعثوا فيحاسبوا فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ... (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين)

(تم)

صحيفة	خطأ	صواب	صحيفه	خطأ	صواب
١٢٣	ألحق هم	ألحق بهم	١٢٨	فتكون	فتكوى

فى السطر الاول من (صحيفة) ٢٠٢ تأخير كلمة (بهذا) عن أوله وفى السطر الخامس تكرير كلمة (ليوم)

الأقوال الحسان

في حسن نظم القرآن

الجزء الثالث

« تأليف »

عبد المتعال الصعيدي

المدرس بالجامع الاحمدي

مطبعة جريدة الكمال لصاحبها نجيب يوسف * بطنطا

سورة النور

سميت هذه السورة بذلك لانه ذكر فيها نور الله وضرب له ذلك المثل العجيب الآتى . وقد ذكر فى اول السورة السابقة بعض احكام الايمان العملية على سبيل الاجمال : وذكر فيها حفظ الفروج الا على الازواج أو ما ملكت الايمان . وفى هذه السورة ذكر مايتعلق بحفظ الفروج من أحكام الزنا والقذف وغيرهما والسورة كلها بعد براعة المطلع سياق واحد فى بيان تلك الاحكام

براعة المطلع

سورة انزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون

هذه الآية كبراعة مطلع لهذه السورة بين فيها ان الغرض منها بيان شىء من الفروض والاحكام العملية فى ايات بلغت أعلى درجات البيان

الاحكام

الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة الآيات إلى آخر السورة

حكم الزنا

ذكر فيه حكمين وجوب جلد كل من الزانى والزانية وتحريم زواج الزانى على المؤمنة العفيفة وزواج الزانية على المؤمن العفيف

حكم القذف

القذف اما للاجنبيات وأما للزوجات فقاذف الاجنبية ان لم يقم اربعة شهود على زناها يجلد ثمانين جلدة الخ وقاذف زوجته اذا لم يكن معه اربعة شهود على زناها يلاعنها فيدرأ بلعانه حد القذف عن نفسه ؛ وتدرأ بلعانها حد الزنا عن نفسها . وهذا من فضل الله ورحمته بهما (وأن الله تواب حكيم)

حديث الافك

ولما فرغ من بيان حد القذف ذكر حديث الافك المعروف لان حد القذف بل هذه السورة نزلت بعده وبسببه ويراد منها تحديد علاقة الرجل بالمرأة دفعا لمثل تلك الريبة التى كاد المسلمون يفتتنون بسببها ؛ ولما نزلت هذه الآيات فى براءة عائشة حلف ابو بكر لا ينفق على مسطح بن أثاثة لانه كان من قاذفيها وكان ينفق عليه لقرابته وفقره ؛ فنزل

فيما نزل فى ذلك الحديث النهى عن مثل هـذا (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولى القربى)فرجع ابو بكر الى الانفاق عليه ! وانتهى الكلام فى ذلك الحديث بقوله تعالى (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات) الآية

آداب البيوت

نهى عن دخول بيوت الغير قبل الاستعلام عن أهلها والسلام عليهم والاذن منهم وأبيح دخول غير بيوت السكنى بغير اذن كالخانات والرباطات

حكم النظر

أمر الرجال بغض البصر عن النساء وامر النساء بمثل ذلك وان لا يبدين زينتهن الا لازواجهن ونحوهم

انكاح الايامى

أمر بأنكاح الايامى ومن يصلح للنكاح من العبيد والاماء وامر من لا يجد مهرا ان يستعف حتي يغنيه الله. وامر بمكاتبة الارقاء وحرم إكراه الفتيات على البغاء طمعا فى عرض الدنيا (ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم)

استطـــــراد

لما كانت تلك العادة من أقبح عادات الجاهلية وكان المنافقون كعبد الله بن أبي يكرهون فتياتهم على عادتهم أراد الله أن يقطع بهم سياق سرد الاحكام الى مقامين أولهما فى بيان فضل القرآن والاهتداء بآياته البينات وأن الله أنار به السموات والارض وجعل نوره كمشكاة فيها مصباح الخ. وان الله يهدى الى ذلك النور من أراد سعادته من رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ٠ والذين لايهتدون اليه أعمالهم كسراب بقيعة أو كظلمات فى بحر لجى (ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور) وكيف يكون له نور وهو يرى كل من فى السموات والارض قد اهتدى اليه (كل قد علم صلاته وتسبيحه) وهو لم يهتد اليه . كيف يكون له نور وهو يري الله يسوق السحاب ثم يجمع بين أجزائه حتى يتراكم بعضها فوق بعض الخ ويراد بهذا كله تذكيرهم بأن هناك ماهو أهم من عرض الحياة الذى يكرهون بسببه فتياتهم على البغاء .

ثانيهما فى ذم أولئك المنافقين على أظهارهم الايمان والطاعة فاذا انهوا عن ذلك الاكراه أو نحوه تولوا وهم معرضون ٠ وقد

مغى في ذكر قبائحهم ماشاء ثم رجع الى سرد الاحكام

آداب الخدم ونحوهم

حرم عليهم فيما تقدم دخول البيوت بغير أذن وأباح هنا لعبيدهم ومن لم يبلغ منهم الدخول بغير أذن الافي أوقات ثلاثة قبيل الفجر الخ ثم نفى الحرج عن العميان وذوى العاهات فى دخول البيوت والاكل منها لحاجتهم كما يباح للانسان ان ان يأكل من بيته اوبيت ابنه او نحوه

آداب الاجتماع

ذكر انه اذا جمع النبي للمؤمنين لمهم لم يجزلهم ان يخرجوا بدون أذنه : وان الله ليعلم من يتسلل فيخرج في خفية من المنافقين ويحذرهم أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم (الا أن لله مافى السموات والارض قد يعلم ماانتم عليه) الآية

سورة الفرقان

قد نوه بشأن القرآن فى السورة السابقة وضرب له مثلا ذلك النور العجيب ثم أتى بعدها بهذه السورة لدفع مايفترونه عليه وعلى النبي الذي جاء به ولهذا سميت باسمه وقد جاء أولها فى التنويه بشأنه ودفع افترائهم عليه وآخرها في

تصبير النبى على آذاهم وبهذا تنقسم هذه السورة الى قسمين

القسم الاول

تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً

الايات الى قوله تعالى

ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق واحسن تفسيراً

نوه بشأن القرآن وشان منزله الذى له ملك السموات والارض ليس له فيه ولد أو شريك من آلهتهم الذين لا يخلقون شيئا الخ

ثم ذكر لهم افتراآت خمسة أولها أن هذا القرآن من عنده ويعينه عليه بعض اتباعه وثانيها انه أساطير الاولين يحفظها له غيره بكرة وأصيلا وثالثها ان الذى جاء به يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق وليس معه ملك يصدقه ولا مايغنيه عن طلب المعاش من كنز يلقى اليه من السماء او نحوه وقد اجاب عن هذا بأن الله أن شاء جعل له خيرا من ذلك جنات وقصورا ولكنهم يكذبون بالساعة ويظنون أنه لا خير الا فى الدنيا وبأن الرسل قبله كانوا يأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق مثله ورابعها أنه لا وجه لنزول الملائكة به عليه دونهم وقد اجاب عنه بأنه تعنت وبأن الملائكة لا تنزل على مثلهم بالوحى

بل يوم يرونهم لا بشرى لهم ويقولون حجراً محجوراً الخ وخامسها انه لم ينزل عليه جملة واحدة كما انزلت التوراة ونحوها وقد أجاب عن هذا بأنه نزل مفرقا ليثبت به فؤاده وليدفع كل اعتراض لهم في حينه (ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا)

القسم الثاني

الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا الآيات الى آخر السورة

ابتدأ هذا القسم ببيان سوء عاقبتهم وانذارهم بما حصل لاعداء الرسل من قبلهم الى ان ذكر عدم اعتبارهم بما يرونه من آثارهم واستهزاءهم بالنبي الذي يريد أن يضلهم في زعمهم (وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا).

ثم ذكر للنبي جهلهم وان الله هو الذي مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا الخ وانهم يعبدون من دونه مالا يضرهم ولا ينفعهم الخ وانهم اذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن الخ

ثم ذكر حال عباده المؤمنين بعدهم وانهم يجزون الغرفة خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاما (قل مايعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما)

سورة الشعراء

سميت هذه السورة بذلك لانه تكلم فيها على الشعراء وأنهم يتبعهم الغاوون . والغرض منها التنويه بشأن القرآن مع تسلية النبي علي عدم أيمانهم به وهي تنقسم إلى قسمين

القسم الاول

طسم تلك آيات الكتاب المبين

الآيات الى قوله تعالى

وان ربك لهو العزيز الرحيم (الاخير)

نوه اجمالاً فى ابتداء السورة بالآيات التى سيذكرها فيها ونهى النبي ان يحزن لعدم ايمانهم بها وبين انه قادر على ان ينزل عليهم آية من السماء فيأخذهم بالعذاب بعد ان لم تنفع فيهم تلك الآيات

ثم سرد تلك الآيات وهى ثمانيه اولاها كونية يرونها في الارض وما انبت الله فيها من كل زوج كريم . والثانية تاريخية تتعلق بما جرى لموسى، مع قومه . والثالثه تتعلق بما جرى لابرهيم مع قومه . والرابعة تتعلق بما جرى لنوح مع قومه . والخامسة تتعلق بما جرى لهود مع عاد . والسادسة

تتعلق بما جرى لصالح مع ثمود . والسابعة تتعلق بما جرى
الوط مع قومه. والثامنة تتعلق بما جري لشعيب مع اصحاب الايكة

القسم الثاني

وانه لتنزيل رب العالمين

الآيات إلى آخر السورة

أثبت ان الكتاب الذى يشتمل على تلك الآيات العجيبة
لا يصح لهم أن يشكوا فى أنه من الله خصوصا بعد أن
بشرت به الكتب المنزلة قبله وعلم بصدقه علماء بنى اسرئيل
الخ ثم ذكر أنه ليس من جنس ماتلقى الشياطين على الكهان
والشعراء كما يزعمون لان مثل هذا لا يستطيعونه وهم معزولون
عن استماع كلام أهل السماء . . ولانهم لا يتنزلون الاعلى
كل افاك اثيم من الكهان والشعراء لذين يتبعهم الغاوون . . .
(الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا) الاية

سورة النمل

سميت هذه السورة بذلك لانه ذكر فيها ماجرى للنمل
مع سليمان ويقصد منها التنويه بشأن القرآن أيضا وينقسم
ماجاء فيها تحت هذا الغرض الى قسمين أولها فى التنويه

بشأن القرآن وذكر شيء من اخبار الاولين . وثانيهما في
تعقيبها بما يناسب الغرض من ذكرها

القسم الاول

طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين

الآيات الى قوله تعالى

وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين

نوه بآيات السورة والكتاب المشتمل عليها ووصفه
بأنه هدى وبشرى للمؤمنين ثم ذكر انه أنه يلقاه من لدن
حكيم عليم تمهيدا الاخبار التي سيذكرها ولا علم له من قبل
بها . واولها يتعلق بموسى . وثانيها يتعلق بداود وابنه سليمان .
وثالثها يتعلق بصالح وثمود . ورابعها يتعلق بلوط مع قومه وقد
ارادقومه أن يخرجوه من قريتهم فامطرهم الله فساء مطر المنذرين

القسم الثاني

قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير
أما يشركون

الآيات الى آخر السورة

أمر النبي ان يحمد الله الذى أعطاه هذا القرآن وعرفه

آخبار هؤلاء الرسل وانه يسلم عليهم ويقر بان الله الذى علمه هذا خير مما يشركون الخ‍ثم ذكر ان القرآن يقص من تلك الاخبار مايجهله اهل الكتاب من بنى اسرائيل وهو مع هذا هدى ورحمة للمؤمنين. ولكن هؤلاء المشركين صم لايسمعون وعمى لايهتدون الخ‍ثم ختم السورة ببيان انه مأمور بعبادة رب هذه البلدة «مكة» وبتلاوة القران المنزل عليه فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فقل انما انا من المنذرين(وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون)

سورة القصص

سميت هذه السورة بذلك لان معظمها وارد فيه وقد جاء اولها فى التنويه بالقرآن وذكر شىء من روائع آياته في قصة موسى مع فرعون . وآخرها فى الاحتجاج بها على انه من عند الله ودفع ماعندهم من شبه عليه

القسم الاول

طسم تلك آيات الكتاب المبين

الآيات الى قوله تعالى

ولقد آتينا موسى الكتاب «الآية»

نوه بآيات السورة والكتاب المشتمل عليها ثم ذكر قصة موسى مع فرعون الى ان انتهى الي تلك الآية

القسم الثاني

وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الأمر الآيات الى آخر السورة

ذكر انه لم يكن مع موسى فى جانب الطور الغربي اذ أنزلت عليه التوراة ولم يبرح مكة الى مدين التى جرت فيها بعض تلك الحوادث وانما هو قرآن يوحى اليه من ربه الخ . ثم ذكر لهم شبهتين عليه اولاهما انه لم يؤت مثل ما اوتى موسى الخ والثانية انهم يخافون من الايمان به والخروج على قبائل العرب ان يتخطفوهم من ارضهم . وقد اجاب عنها بأن الله قد اوجدهم فى حرم آمن فلا يخاف عليهم . وبأن الله ينصرهم عليهم كما نصر من قبلهم واهلك اعداءهم وبان مايخافون عليه ان هو الا متاع الحياة الدنيا ولا يذكر بجانب ما اعد للمؤمنين من الثواب وللكافرين من العقاب يوم الآخرة اذ يناديهم الله اين شركائى الخ ثم ضرب لتهوين مايخافون عليه من ذلك المتاع مثلا قارون وما اوتيه من الكنوز ففرح بها وآثرها مثلهم على

ماعند الله فخسف به وبداره الارض الخ ثم ختم السورة بعد ان فرغ من اثبات صحة القرآن بارشاد النبي الى الاكتفاء بذلك وتركهم الى الله الذي هو أعلم بمن هو على الهدى ومن هو في ضلال مبين . ثم ذكره بنعمة الله عليه بذلك الكتاب الذي ما كان يرجو ان ينزل عليه فلا يصح ان يظاهر أولئك المشركين أو يدعو مع الله الها آخر (لا إله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون)

سورة العنكبوت

سميت هذه السورة بذلك لانه شبه فيها اعتماد المشركين على آلهتهم باعتماد العنكبوت على بيتها . ويقصد منها تهوين أمر الجهاد على الخائفين ان يتخطفوا من ارضهم اذا آمنوا وتنقسم الى ثلاثة اقسام أولها فى انه لابد من ان يلاقي المؤمنون فى سبيل الايمان مالقى غيرهم من قبلهم . والثاني فى تهوين أمر اولئك المشركين عليهم والثالث فى بيان ان الارض لاتضيق بالمرء ودينه حتى يحجم او يرتد عنه

القسم الاول

ألم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون .

الآيات الى قوله تعالى

فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصباً (الآية)

ذكر انه لايترك الناس بعد الايمان بدون ان يبتليهم بالجهاد ونحوه كما ابتلى به من قبلهم ليعلم الصادق فى ايمانه من غيره الخ ثم قص ماجرى للمؤمنين الاولين مع اعدائهم وانه لم يترك احدا منهم حتى اخذه بذنبه (وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون)

القسم الثانى

مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت

الايات الى قوله تعالى

يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم (الاية)

لما ذكر ماحصل لأولئك المشركين الذين كذبوا رسلهم ولم تغن عنهم شركاؤهم ضرب لها مثلا بيت العنكبوت الذى لايدفع عنها اذي من حر او برد او غيرهما تهوينا لامر المشركين الذين يؤذون المسلمين الخ ثم امر النبي ان يتلو ما اوحى اليه من اخبار اولئك الانبياء ليتسلى بها . والا يعامل من لم يؤذه من اهل الكتاب مثل هؤلاء المشركين بل يجادلهم

بالتى هى احسن الا الذين ظلموا منهم فكثير منهم يؤمن بما
أنزل اليه ولا يؤمن به الا قليل من اهل مكة ويجحد به اكثرهم
فيقترحون عليه آيات غيره ولا يبالون بما يترتب على ذلك
من العذاب بل يستعجلون به الخ

القسم الرابع

ياعبادى الذين آمنوا ان ارضى واسعة فاياى فاعبدون
الايات الى آخر السورة

ذكر ان ارض الله واسعة فمن يؤذى من المؤمنين فى
بلده فليهاجر منها الى غيرها وان الله ليجازيهم على ذلك
ويبوئهم من الجنة غرفا تجرى من تحتها الانهار ولا ينساهم
إذا هاجروا من ديارهم بل يرزقهم كما يرزق الدواب التى
لاتدخر شيئا للغد . فالله خالق السموات والارض ومسخر
الشمس والقمر يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر (يضيق)
يعرف ذلك الذين يشركون به كغيرهم ولكن اكثرهم
لايعقلون . وما الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الاخرة
لهى الحياة ولو يعلمون لآثروها ورجعوا الى الله الذي يرجعون
اليه عند ركوب البحر وخوف الغرق وهو الذى جعل لهم

حرما آمنا ويتخطف الناس من حوله افبالباطل يؤمنون وبنعمة
الله يكفرون . . . . (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وان الله لمع المحسنين)

سورة الروم

سميت بذلك لافتتاحها بذكرهم ويقصد منها تسلية
المسلمين حين احزنهم انتصار الفرس على الروم وهم اهل
كتاب مثلهم فوعدهم بنصرهم عليهم تحقيقا لما وعد به من محق
الشرك ونصر المؤمنين : وتشتمل على مقصد وخاتمة

المقصد

الم غلبت الروم فى أدنى الأرض
الآيات الى قوله تعالى
ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل (الآية)

وعد بنصر الروم على الفرس بعد ان غلبوهم تحقيقا لما
وعد به من محق الشرك وأن كان المشركون لايصدقون
اغترارا بظواهر الحياة واقبالها عليهم وغفلة عن الآخرة
وما اعد لهم فيها ، ثم اخذ فى تذكيرهم بآيات الله ليثبت أن لهم
معادا ويبطل بها شركهم : فذكرهم بخلق السموات والارض الخ

ثم امر النبي والمؤمنين ان يتمسكوا بالتوحيد (دين الفطرة) ولا يكونوا من المشركين الذين يفرحون بما لديهم من امور الحياة فاذا مسهم ضر رجعوا الى ربهم حتى اذا كشفه عنهم عادوا الى شركهم مع ان الله يبسط الرزق لمن يشاء مؤمنا او كافرا فلا يحق لهم ان يفرحوا به الخ ثم امره ثانيا ان يتمسك بذلك من قبل ان يأتي اليوم الذي يعد المشركون به . وبهذا رجع الى اصل الكلام ورجع الى تمداد آيات الله الدالة على قدرته عليه الى ان ختم السورة بأن الله يضرب لهم الامثال والادلة على ذلك ولكنهم لا يتأثرون لان الله طبع على قلوبهم . . (فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون)

سورة لقمان

سميت بهذا لذكر وصاياه فيها ويقصد منها التنويه بشأن القرآن وآياته المشتملة على تلك الوصايا : وقد افتتحها بالتنويه بآيات القرآن وذم من يشتري لهو الحديث بها الخ ثم ذكر تلك الوصايا وهي في النهي عن الشرك والامر بطاعة الوالدين الخ ثم تكلم بمناسبة ذلك على التوحيد ونبه المشركين

الى ما سخره الله لهم فى السموات والارض الخ ثم امرهم بتقوى الله وان يخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده شيئا الخ

سورة السجدة

سميت بهذا لان فيها آية يسن سجود التلاوة عند قراءتها ويقصد منها اثبات ان القرآن من عند الله نزله على النبى لينذرهم به ويثبت لهم ان ربهم الذى خلق السموات والارض الخ ويثبت لهم انه قادر على ان يبعثهم وان تفرقت اجزاؤهم فى الارض الخ وقد ذكر بعد هذا الذين يؤمنون بالقرآن وما أعد لهم فى الآخرة مما تقربه أعينهم . وذكر الذين يعرضون عنه وما اعد لهم من العذاب الادنى (عذاب الدنيا) دون العذاب الاكبر . وذكر ان عذابهم فى الدنيا بأيدى المسلمين جاء فى كتاب موسى (التوراة) الخ ثم ذكر انهم سألوه متى هذا الفتح (العذاب) فأجابهم بأنه اذا أتى لا ينفع الكافرين إيمانهم ولا ينظرون (فأعرض عنهم وانتظر أنهم منتظرون)

سورة الاحزاب

سميت بهذا لانها نزلت بعد غزوة الاحزاب للكلام عليها وعلى حوادث وقعت فى زمنها أو قبله اوبعده بقليل .

ولما كانت اكثر احكامها تتعلق بالنبي ابتدأها بخطابه ثم مهد لمقاصدها بأمور أولها نهيه عن طاعة الكافرين والمنافقين لما كان منهم في غزوة الاحزاب. ثانيها ابطال التبني تمهيدا لقصة زينب وقد حكم بأنه لا يمكن ان يكون المتبنى ابنا كما لا يمكن أن يكون للرجل قلب غير قلبه وكما لا يمكن أن تكون الزوجة أما بقول زوجها لها أنت كأمي. ثالثها أن أزواج النبي امهات المؤمنين تمهيدا لتحريمهن عليهم رابعها ان الارث بالرحم تأكيد الابطال التبني

وقد تكلم بعد هذا على غزوة الاحزاب . ثم تكلم على حادثة تخيير النبي نساءه بين الرضا بما يعطيهن من كسوة ونفقة وبين تسريحهن اذا أردن الازيادة النفقة . ثم تكلم على حادثة زينب وزيد زوجها وكان يدعي له . ثم تكلم علي حكم الطلاق قبل الدخول وحرم علي النبي أن يزيد على زوجاته بعد ان وسع له في نكاح الحرائر والاماء وبنات عمه وعماته الخ ثم تكلم على الحجاب وختم السورة بنهي المؤمنين ان يؤذوا النبي بعد ان ذكر أنواعا من الايذاء بعضها منهم قبل نزول الحجاب، وبعضها من المنافقين الذين كانوا يتتبعون

فى الطرق نساء المؤمنين. ثم امرهم بالتقوى والطاعة وهى الامانة التى عرضها على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا !..

سورة سبأ

سميت بهذا لانه ذكر فيها قصة سبأ ويراد منها اثبات الساعة التى هددوا بها على أيذاء النبي في آخر السورة السابقة وقد افتتحها بحمد الله الذى له مافى السموات والارض وله الحمد فى الآخرة ثم ذكر لهم اعتراضات عليها أولها انهم قالوا لا تأتينا الساعة الخ . ثانيها انهم لايمكن ان يبعثوا بعد ان يمزقوا كل ممزق وقد أجاب عن هذا بأن الله قادر على ذلك وهم يرون آثار قدرته فى السماء والارض وهو الذى سخر الجبال والطير لداود والريح لسليمان وارسل على اهل سبأ سيل العرم . ثالثها انهم سألوا متى تقوم الساعة استبعادا لها وقد أجاب عن هذا بأن لهم ميعاد يوم يقف فيه الظالمون عند عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول الخ وقد استمر الجدال معهم فى هذا الى ان ختم السورة بأنه اذا جاء هذا اليوم يحال بينهم وبين مايشتهون (كما فعل بأشياعهم من

قبل انهم كانوا فى شك مريب)

سورة فاطر

يراد من هذه السورة دعوة المشركين الى الله وتصديق
النبى وقد افتتحها بالحمد لله فاطر السموات والارض الخ ثم
ذكرهم بعذابه وحذرهم أن تغرهم الحياة أو يخدعهم الشيطان
عنه الخ وبين لهم ان الله قادر على بعثهم ليذوقوه كما يرسل
الرياح فتثير سحابا الخ وكما خلقهم من تراب الخ وكما يولج
الليل فى النهار الخ ثم ذكر لهم انه الغنى وهم الفقراء وانه ان يشأ
يذهبهم ويأت بغيرهم وان انذاره انما يؤثر فيمن يخشى ربه
بالغيب الخ ولا يمكن ان يسمع هؤلاء الاموات الخ فكما
خلق الله الكائنات مختلفة فى الوانها واشكالها كذلك لا يمكن
ان يخشاه من عباده الا من لانت طباعهم من العلماء الذين
يتلون كتاب الله الخ ثم ذكر ما اعدلهم من جنات عدن وما
أعد للكافرين من نار جهنم وبين انهم يستحقون ذلك لانه
جعلهم خلائف فى الارض فكفروا به ومن كفر فعليه كفره
ولانهم اقسموا بالله لئن جاءهم نذير ليؤمنن به فلما جاءهم
نفروا منه ومكروا به ولا يحيق المكر الا بأهله كما حاق بمن

كان قبلهم وكانوا اشد منهم قوة الخ ولكنه يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيراً

سورة يس

سميت بهذا لافتتاحها بهذا الاسم ويقصد منها اثبات الرسالة وبيان الغرض منها وهو الانذار بعذاب الله الذى حق عليهم . وقد ضرب لهم امثلة وآيات تدلهم على قدرة الله عليه واولها مثل اصحاب القرية الخ وثانيها آية الارض الميتة الخ وثالثها آية الليل الخ ورابعها آية السفن تجرى بهم فى البحر فأن يشاء الله يغرقهم فلا ينقذهم غيره . ومع هذا اذا قيل لهم اتقوا عذاب الله وانفقوا مما يرزقكم اعرضوا وقالوا متى هذا الوعد وما هى الا صيحة واحدة تأخذهم فيرون ما أعد لهم الى ان يقول الله هذه جهنم التى كنتم توعدون فيختم على افواههم وتشهد عليهم جوارحهم الخ وان ما يوعدون به من هذا حقيقة لا خيال لان النبى لم يتعلم الشعر فى حياته وما ينبغى له الخ وخامسها آية الانعام خلقها لهم فلم يشكروه عليها واتخذوا من دونه آلهة الخ وسادسها آية الانسان خلقه من نطفة ومع هذا يستبعد أن يبعثه بعد موته وهو الذى

أنشأه أول مرة وجعل من الشجر الاخضر نارا وخلق السموات والارض واذا أرادشيئا قال له كن فيكون (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وأليه ترجعون)

سورة الصافات

يراد منها تنزيه الله عن الشركاء والبنات واثبات قدرته على بعثهم وأهلاكهم كما اهلك من قبلهم . وقد اقسم بالصفات أن الههم واحد ألخ ثم ذكر انهم أضعف خلقا ممن خلقهم من الشياطين الذين جرى ذكرهم فهو قادر على ان يبعثهم وهم داخرون الخ ثم ذكر هم بمن ضل قبلهم من الاولين فأهلكهم الله حين كذبو ارسلهم : ثم ختم السورة بمثل ما افتتحها به فنزه الله عن البنات من الملائكة والجن التي ينسبها له المشركون وذمهم على ذلك ومدح المؤمنين الذين اخلصوا له فلا يمكن أن يفتنوهم عنه . ثم ذكر أنهم كانوا يقولون لو نزل علينا كتاب كالاولين لكنا عباد الله المخلصين وانهم كفروا به فسوف يعلمون الخ

سورة ص

يقصد منها اثبات الرسالة وقد أقسم بالقرآن انه رسول

ثم ذكر شبههم عليه واولها انه بشر وثانيها انه ساحر وثالثها انه ينكر تعدد الآلهة ويخالف بذلك الملة الآخرة (النصرانية) ورابعها انه لا يمتاز عليهم حتى ينزل عليه القرآن من بينهم مع ان الله هو الرازق يختص بذلك من يشاء . فان كان لهم فى الامر شيء فليرتقوا فى الاسباب ليبطلوا امره . ثم ذكر انهم سيهزمون كما هزم من قبلهم قوم نوح وعاد الخ ثم امره ان يصبر عليهم ليكون له اسوة بالصابرين كداود وسليمان وغيرهما ممن قص اخبارهم ليكون فيه ذكر له . ثم ذكر ما اعد للمتقين من نعيم وللطاغين من عذاب ليكون فيه ذكر آخر ثم ذكر انه ما من اله الا الله الواحد القهار الخ جوابا عن الشبهة الثالثة . وان القرآن الذى انكروا تنزيله عليه في الشبهة الرابعة ماهو الا نبأ عظيم يأتيهم بما لم يكن للنبي علم به من خبار الملأ الاعلى اذ يختصمون فى امر آدم. ثم ذكر انه لا يسألهم عليه اجرا وما هو الا ذكر للعالمين « ولتعلمن نبأه بعد حين »

سورة الزمر

سميت بهذا لقوله فى آخرها (وسيق الذين كفروا الى

جهنم زمرا) ويقصد منها اثبات التوحيد وأبطال الشرك .
وقد افتتحها بأن تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم فيجب
ان تخلص له العبادة ولا يعبد غيره ولو على سبيل الزلفى اليه
ثم استدل على أنه لا شريك له ولا ولد يعبد معه بأمور اولها
أنه خالق السموات والارض الخ ثانيها أنه هو الذى اذا مس
الانسان ضر أناب اليه الخ ثالثها انه هو الذى ينزل من السماء
ماء يخرج به ذرعا مختلفا الوانه . . . وأن فى هذا لذكرى
لاولى الالباب ممن شرح الله صدره للاسلام دون القاسية
قلوبهم من ذكر الله الذى نزل أحسن الحديث الخ رابعها انه
من يتخذ آلهة مثله كعبد فيه شركاء متشاكسون لا يمكنه
أن يرضيهم ومن يتخذ الها واحدا مثله كعبد خالص لرجل
ثم ذكر ان الله يحكم بين الفريقين فى هذا يوم القيامة وانه
الله فيه الكفاية لعبده فلا يصح له ان يتخذ غيره فاذا خوفوه
بالذين يدعون من دونه فلا يصح له ان يخاف وهو ان
سألهم من خلق السموات والارض ليقولن الله . فهو اذا
اراده بضر لا تكشفه آلهتهم عنه الخ . خامسها أنه هو الذى
يقبض النفوس عند الموت وعند النوم فهو صاحب التصرف

وحده وليس لآلهتهم شيء عنده حتى يتخذونهم شفعاء له فالشفاعة لله جميعا له ملك السموات والارض الخ . ثم ذكر أنهم مع اتخاذهم آلهتهم شفعاء له اذا ذكر وحده اشمأزوا واذا ذكرت من دونه اذا هم يستبشرون الخ . وان احدهم لا يعرفه الا اذا مسه ضر فاذا خوله نعمة قال انما اوتيته على علم الخ وسادسها انه خالق كل شيء وبيده مقاليد السموات والارض الخ ثم ذكر انهم ماقدروا الله حق قدره اذ يتخذون آلهة غيره والارض جميعا قبضته يوم القيامة ...و نفخ في الصور لجمع الخلق وحسابهم وسيق الكافرون الى جهنم زمرا وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا الخ

سورة المؤمن

سميت بهذا لانه ذكر فيها مؤمن آل فرعون ويقصد منها تحذيرهم من التكذيب بالقرآن وقد افتتحها بأن تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ثم ذكر انه مايجادل فيه الا الكافرون وانه سيهلكهم كما اهلك قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وقد همت كل امة برسولهم ليأخذوه الخ وكما اهلك فرعون وهامان وقارون لما ارسل اليهم موسى فقالوا

ساحر كذاب الخ ثم أمر النبي ان يصبر عليهم لان ماوعدبه من ذلك حق وذكر انهم يجادلون فى القرآن بغير دليل وانما هو الكبر يحملهم على تكذيبه وخلق السموات والارض اكبر منهم وان الساعة لآتية وسيدخل جهنم صاغرين أولئك الذين يستكبرون عن عبادة الله وهو الذى جعل لهم الليل ليسكنوا فيه الخ . ثم أمره ثانيا بالصبر واخبره ان وعدالله حق فاما ان يريه بعضه أويتوفاه قبله فان له اجلا كما كان لوعد كل رسول قبله اجل اذا جاء قضى بالحق وخسر هنالك المبطلون الخ ثم حثهم على السير فى الارض لينظروا كيف حق وعد الله على الامم العاصية وذكر انهم كانوا اذا ادركهم يقولون آمنا فلا ينفعهم ايمانهم « سنة الله التى قد خلت فى عباده وخسر هنالك الكافرون »

سورة حم فصلت

سميت بهذا لقوله فيها — كتاب فصلت آياته — ويقصد منها التنويه بشأن القرآن وتحذيرهم من تكذيبه . وقد ذكر أنه كتاب فصلت آياته الخ ثم ذكر اعراضهم عنه مع انه لايدعوهم الا الى اله واحد فويل لهم من تكذيبه

والكفر بالله الذي خلق الارض في يومين الخ ثم حذرهم أن تصيبهم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ويفتضح امرهم فى الآخرة فيشهد عليهم سمعهم وابصارهم الخ ثم ذكر أنهم قالوا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وذكر ما اعدلهم على ذلك من عذاب وما اعد للمؤمنين من نعيم . ثم امر النبي ان يدفع سيئتهم هذه بالحسنة ويستعيذ بالله من الشيطان اذا زين له أن يقابلهم بالشر فان الله سميع عليم ومن آياته الليل والنهار وغيرهما فلا يخفى عليه الذين يلحدون فى آياته الخ ثم ذكر انه لايقال له من ذلك الا ماقد قيل للرسل من قبله فصبروا وانه لوجعل هذا القرآن الذي يعرضون عنه أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته الخ ولولا ان الله اراد تأخير عذابهم لقضى بينهم ولكنه اخر ساعته الى وقت لايعلمه الا هو فاذا جاء عرفوا الله وانكروا شركاءهم وبلغ اليأس منهم مبلغه . وهكذا عادة الانسان لا يسأم من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط الخ ثم سألهم ماذا يفعلون اذا ظهر أن القرآن من عند الله وجاء يوم عذابهم وسيريهم آياته فى الآفاق وغيرها حتى يتبين لهم أنه الحق الخ

سورة الشورى

سميت بهذا لمدح الشورى فيها ويقصد منها اثبات التوحيد وأنه وسائر ما جاء النبي به هو دين الانبياء من قبله . وقد ذكر انه يوحي اليه من ذلك ما أوحي الى الذين من قبله الخ وأنه اوحى اليه مثلهم بهذا القرآن لينذر قومه بيوم الجمع الخ ثم فصل هذا الاجمال وذكر انه شرع لهم من الدين ماوصى به نوحا ومن بعده الى عيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه . وأنما اختلف فيه من جاء بعدهم ولهذا جاء النبي ليدعوهم اليه ولا يتبع أهواءهم والله يجمع بينه وبينهم واليه المصير الخ ثم ذكر انه أما ان يكون لهم شركاء شرعوا لهم خلاف هذا الشرع ولولا أن الله قضى بتأخير عذابهم لعذبهم على ذلك وأن الظالمين لهم عذاب اليم الخ وأما ان يقولوا ان النبي افتراه على الله فان يشأ يختم على قلبه فلا يدعوهم اليه ويمح الله بنفسه باطلهم الخ ثم ذكر انهم لا يعجزونه اذا اراد ذلك فمن آياته الجوار فى البحر كالاعلام ان يشأ يسكن الريح فتقف او يغرقها بهم لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون فى اياتنا الخ ثم امرهم ان يستجيبوا لله من قبل ان يأتيهم يوم لا مرد له من الله

فان أعرضوا فليس على النبي الا ان يبلغهم فان الانسان اذا
أصابه من الله رحمة اغتربها واعرض كما يعرضون مع إن كل
شىء لله يخلق مايشاء الخ

ثم اجاب عن قولهم انه افتراه بطريق الاقناع بعد التهديد
فذكر انه لايمكن ان يكلم الله بشرا الا وحيا أو من وراء
حجاب او بواسطة ملك وأنه كذلك يوحى اليه وما كان يدرى
ماالكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء
من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم (هو الشرع
السابق) صراط الله الذى له مافى السموات وما فى الارض
الا ألى الله تصير الامور

سورة الزخرف

سميت بهذا لذكر لفظه فيها ويقصد منها التنويه بشأن
القرآن واثبات التوحيد الذى جاء به . وقد نوه بشأن القرآن
ثم اثبت أن الههم هو الذى لا يمكنهم أن ينكروا أنه الذى خلق
السموات والارض الخ . ثم ابطل أن تكون الملائكة بناته
وذكر لهم شبهتين على عبادتها أولاهما انه لو شاء الله ماعبدوها
وأجاب عنها بأنهم علالم لهم بذلك وليس عندهم دليل عليه

وإنما هم يقلدون آباءهم فيقولون أنا وجدنا آباءنا الخ . ثم ذكر لهم ما كان من ابرهيم ورفضه تقليد الآباء وجعله كلمة التوحيد باقية في نسله إلى أن ضل عنها هؤلاء المشركون فلما جاءهم الرسول يدعوهم اليها قالوا هذا سحر وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم الخ ثم امره ان يستمسك بالذى اوحى اليه من نفى الشركاء كما استمسك به الرسل من قبله وذكر له منهم موسى وما جرى له مع فرعون . والثانية أنهم قالوا انها مثل عيسى الذى اتخذه النصارى ولداً وقد اجاب عنها بجوابين اولهما انه لم يكن إلا عبداً انعم الله عليه الخ وثانيهما انه لو كان لله ولد عيسي او غيره لكان اول من يعبده وسبحان الله ان يكون له ولد وهو رب السموات والارض الخ

سورة الدخان

سميت بهذا لذكر لفظه فيها ويراد منها التنويه بشأن القرآن وتحذيرهم من تكذيبه بعذاب يأتيهم يوم تأتى السماء بدخان مبين إذا نزل بهم القحط ثم يكشفه عنهم ويبطش بهم البطشة الكبرى يوم بدر أو يوم القيامة . وهذا كما بطش بفرعون عفاغرقه ونجى بنى اسرائيل واختارهم على العالمين الخ

سورة الجاثية

سميت بهذا لذكر لفظه فيها ويقصد منها الاحتجاج على صحة القرآن وما جاء به من التوحيد بآيات الله في السموات والارض الخ . وتحذيرهم من تكذيبه بما وراءهم من عذاب جهنم لايغني عنهم ما كسبوا شيئاً الخ ثم ذكر انه اتى بنى اسرائيل الكتاب فاختلفوا فيه من بعد ما جاءهم العلم واتبعوا اهواءهم ثم اتاه شريعة مثلها فيجب ان يتبعها ولا يتبع اهواء قومه انهم لن يغنوا عنه من الله شيئا وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين . فانه لايمكن ان يستوى الفريقان في ذلك بل لابد أن تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون . ثم ذكر انكارهم للبعث الذى يلاقون بعده ذلك وختم السورة بالكلام عليه

سورة الاحقاف

سميت بهذا لذكر أهل الاحقاف فيها ويقصد منها اثبات تنزيل القرآن . وقد ذكر انه منزل من الله العزيز الحكيم الذي خلق السموات والارض وما بينهما بالحق الخ ثم ذكر أنهم قالوا انه مفترى وأجاب عن ذلك ثم ذكر انهم قالوا لو

كان خيرا ما سبقنا اليه صعاليكنا وكان فيما اجاب به عن ذلك
مدحهم بأنهم الذين قالوا ربنا الله الخ وبأن منهم الذى أحسن
الى والديه وقال رب اوزعنى الخ ومن اعدائهم الذى قال
لوالديه اف لكما الخ ثم ذكر لهم قصة عاد بالاحقاف وانهم
كانوا اغنى منهم فلم يغن عنهم ذلك شيئا. ثم ذكر ان القرآن الذى
ينكرون ان يكون خيرا سمعه نفر من الجن فآمنوا به
وولوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا الخ ثم أمره ان يصبر
على اذاهم وينتظر مايوعدون به كأنهم يوم يرونه لم يلبثوا الا
ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون

سورة القتال

سميت بهذا لانه ذكرت فيها احكامه وتحريضهم عليه
وقد ذكر الكافرين وصدهم عن سبيل الله والمؤمنين واتباعهم
الحق من ربهم ثم سلطهم على قتالهم ورغبهم فيه بأن الذين
يقتلون منهم فيه لن يضل اعمالهم الخ وبأنه ينصرهم عليهم
ويثبت أقدامهم الخ وبأنه يدخلهم جنات تجرى من تحتها
الانهار الخ ثم ذكر المنافقين الذين لا يرغبون فى القتال
وذمهم وشرح أحوالهم. ثم نهى المسلمين ان يهنوا فى القتال

وهون عليهم امر الحياة ودعاهم الى الانفاق من اموالهم في القتال وختم السورة بذلك

سورة الفتح

سميت بهذا لانها نزلت فى غزوة الفتح . وقد ذكر انه كان فتحا مبينا وانه نصره به نصراً عزيزا وانه أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين حتى تم لهم . ثم مدحهم إذ بايعوه على القتال واوفوا بعهدهم وذم الذين تخلفوا من المنافقين وامر النبى ان لا يقبلهم بعد هذا إذا انطلقوا إلى مغانم فطلبوا منهم ان يتبعوهم . وذكر أنهم إذا أرادوا أن يكفروا عن تخلفهم فسيدعون إلى قوم أولى بأس ألخ . ثم ذكر أنه رضى عن المؤمنين عام الحديبية إذ منعوا من دخول مكة وبايعوا النبى تحت الشجرة فأثابهم بهذا الفتح الخ

سورة الحجرات

سميت بهذا لذكر لفظه فيها ويراد منها إرشاد المؤمنين إلى طائفة من الآداب كأن لا يقدموا بين يدى الله ورسوله ولا يرفعوا اصواتهم فوق صوته ولا ينادوه من وراء الحجرات ولا يسمعوا قول الفاسق اذا جاءهم بنبأ حتى يتبينوه

وان يصلحوا بين المتقاتلين ولا يسخر بعضهم من بعض ويجتنبوا ظن السوء ولا يغتب بعضهم بعضا فهم اخوان خلقهم الله من ذكر وانثى الخ ثم ذكر الاعراب وضعف ايمانهم لانهم الذين كانوا يرفعون أصواتهم وينادونه من وراء الحجرات وختم السورة بالكلام عليهم

سورة ق

يراد منها اثبات البعث وقد أقسم بالقرآن انهم يبعثون ثم ذكر أنهم ينكرون ان يبعثوا بعد أن يصيروا ترابا وتأكلهم الارض وأجاب بأنه يعلم ما تنقص الارض منهم وذكر لهم كيف بنى السماء الخ وانه لم يعي بخلقهم اول مرة وانه خالق الانسان ويعلم ما توسوس به نفسه الخ ثم أمر النبي ان يصبر على ما يقولون من ذلك ويستمع يوم ينادي المناد الخ

سورة الذاريات

يراد منها إثبات ما يوعدون من عذاب الدنيا والآخرة وقد اقسم على ذلك بالذاريات وما معها ثم ذكر سؤالهم عن زمنه واجاب بأنه يوم هم على النار يفتنون الخ ثم ذكر ما يدل عليه من آيات الله في الارض و في انفسهم الخ وانه وقع لمن

قبلهم من الاولين قوم لوط وفرعون وعاد الخ ثم أمرهم ان يفروا الى الله قبل ان يأتيهم ولا يجعلوا معه الها آخر وذكر انهم اذا كذبوه فى ذلك فقد كذب به اولئك الاقوام من قبلهم فليس عليه الا ان يتولى عنهم ويذكر المؤمنين الخ

سورة الطور

وهى فى ذلك العذاب أيضا وقد أقسم عليه بالطور وما معه ثم فصل ما يحصل لهم فيه وكذلك ما أعد للمتقين ثم امر النبى أن يذكر بهذا من يتذكر ونفى عنه ما يرمونه به من الكهانة والجنون والشعر الخ ليعلموا أن ذلك حق ثم أمره ان يتركهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون الخ

سورة النجم

يراد منها اثبات اتصال النبى بالملأ الاعلى وتنزيه الله عن أن يكون لها شركاء من اللات والعزى ومناة التى يتخذونها على مثال الملائكة ويقولون انها بنات الله وينتظرون شفاعتها وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله الخ ثم أمر النبى ان يعرض عنهم وذكر أنهم لاعلم لهم بذلك ولا بد أن يجزوا على اساءتهم ولا شفاعة

لهم كما يجزى الذين أحسنوا بالحسنى الخ ثم سفه من يضمن منهم عذاب الله أو يحمله عن غيره كأن عنده علم الغيب أو لم ينبأ بما فى صحف موسى وابرهيم ألا تزر وازرة وزر أخرى ألخ

(سورة القمر) يراد منها إثبات المعاد وقد ذكر أن الساعة قد اقتربت ثم حذرهم من التكذيب بها بما جرى قبلهم لمن كذب بها من قوم نوح وعاد الخ

(سورة الرحمن) يقصد منها دعوتهم الى الله بسرد نعمه عليهم و بيان ما أعد للمجرمين من العذاب ولمن خاف مقام ربه من نعيم الجنان

(سورة الواقعة) الغرض منها التذكير بيوم القيامة وما أعد فيها لاصحاب الميمنة والسابقين منهم وكذا أصحاب المشأمة وقد ذكر هؤلاء بعد هذا بأنه هو الذى خلقهم وقدر بينهم الموت فهو قادر على أن ينشئهم نشأة أخرى الخ ثم أقسم بمواقع النجوم أن القرآن الذى يعدهم بهذا قرآن كريم الخ وذكر انهم إذا كانوا يكذبون بحديث البعث فهلا اذا بلغت الروح الحلقوم عند الموت يرجعونها اذا كانوا صادقين في انهم لا يبعثون ولا يدانون الخ

(سورة الحديد) سميت بهذا لذكر لفظه فيها ويقصد منها بيان عظمة الله ودعوتهم إلى الايمان به وبرسوله وإلى الانفاق فى سبيله وترغيبهم فيه بما ذكر فيهامن وجوه الترغيب

(سورة المجادلة) سميت بهذا لانها نزلت فى مجادلة النبى فى الظهار وكان فى الجاهلية من أشد انواع الطلاق ويقتضى فرقة مؤبدة فشرع الله له أحكاما اخرى وحذرهم من تعديها وهدد من يتعدى حدوده أو يحاد الله ورسوله من المنافقين وغيرهم وذكر انه يعلم ما يتناجون به من ذلك : ثم نهى المؤمنين أن يتناجوا مثلهم بالاثم والعدوان لئلا يتباغضوا وأمرهم ان يفسح بعضهم لبعض فى المجالس ليتحابوا . ثم أمرهم اذا ناجوا الرسول أن يقدموا بين يدى نجواهم صدقة الخ ثم عاد الى المنافقين الذين يحادون الله ويتولون عنه وختم السورة بالكلام عليهم

(سورة الحشر) سميت بهذا لانها نزلت فى اجلاء بنى النضير وحشرهم الى الشام وقسمة فيئهم على الاصناف الخمسة المعلومة ومنهم فقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم الخ وفى شرح ما كان من المنافقين معهم من قولهم لهم لئن

اخرجتم لنخرجن معكم الخ وفى امر المؤمنين بتقوى الله وان لا يكونوا كالمنافقين الذين نسوا الله وقد انزل عليهم هذا القرآن الذى لو انزل على جبل لتصدع من خشية الله الخ

(سورة الممتحنة) سميت بهذا لان مما نزلت فيه امتحان المهاجرات وقد نزلت في أمور متجانسة أولها نهى المؤمنين عن اتخاذ اعدائهم من الكفار اولياء وهم الذين قاتلوهم وأخرجوهم من ديارهم بخلاف غيرهم . وثانيها نهيهم عن ارجاع المؤمنات المهاجرات إلى أزواجهن من الكفار واباحة نكاحهن لهم وتحريم الكوافر عليهم . وثالثها في أمر النبي بمبايعة المؤمنات اذا بايعنه على ان لا يشركن بالله الخ

(سورة الصف) سميت بهذا لذكر لفظه فيها ويراد منها ترغيب المؤمنين فى الجهاد وتحذيرهم من القول فيه بغير عمل لئلا يزيغ الله قلوبهم كما ازاغ قلوب قوم موسى الخ وقد ذكر ان الكفار يريدون ان يطفئوا نور الله ليغلبهم عليهم وأنه الجهاد فى سبيل الله تجارة رابحة تنجيهم من عذاب اليم الخ

(سورة الجمعة) سميت بهذا لانها فرضت فيها للمؤمنين بدل السبت لليهود بعد ان رد على اليهود زعمهم أنهم أولياء

لله من دون الناس فلا يمكن ان يبعث من الاميين (العرب) نبي .

(سورة المنافقين) سميت بهذا لان كل آياتها فيهم وتحذير المؤمنين منهم

(سورة التغابن) سميت بهذا لذكر لفظه فيها ويقصد منها إثبات التوحيد والبعث وتحذير الكفار من عذاب الدنيا والاخرة ودعوتهم الى طاعة الله والرسول فهى خير لهم من أزواجهم وأولادهم وأموالهم التى هى سبب فتنتهم

(سورة الطلاق) سميت بهذا لانها نزلت فى احكام الطلاق وما يتصل به من عدة ورضاع وقد ختمت بتحذيرهم من مخالفة أمر ربهم فيه لئلا يصيبهم ما أصاب كل قرية عتت عن امر ربها الخ

(سورة التحريم) سميت بهذا لانها نزلت فى تحريم مارية وقد أسر به النبي الى حفصة فأخبرت به عائشة فأمرهما الله بالتوبة من ذلك وحذرهما فيمن حذرهم نارا وقودها الناس والحجارة الخ

(سورة الملك) سميت بهذا لذكر لفظه فيها ويقصد منها

الدعوة الى الايمان بالله والتحذير من الكفر به

(سورة القلم) سميت بهذا لانه أقسم به فيها ويراد منها تنزيه النبي عما يرمونه به من الجنون وأن ما يتلوه عليهم أساطير الاولين وتهديدهم على ذلك بما هددهم به

(سورة الحاقة) وهى القيامة التى كذبت بها ثمود وعاد ويراد من السورة تهويل أمرها وشرح بعض أحوالها

(سورة المعارج) سميت بهذا لذكر لفظه فيها وهى فى عذاب يوم الآخرة الذى سأل عنه بعضهم فأجيب بأنه واقع الخ

(سورة نوح) سميت بهذا لانها من اولها الى آخرها فى قصته

(سورة الجن) سميت بهذا لانها نزلت فى الجن حين استمعوا القرآن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا وقد مضى فى كلامهم الى ان ذكروا أن منهم مسلمين ومنهم فاسقون فقال عن هؤلاء بقطع النظر عن كونهم من الجن انهم لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا وختم السورة بالكلام فيهم

(سورة المزمل) يراد منها ارشاد النبي الى ما ذكر فيها من احكام وآداب وتصبيره على أذى قومه وتحذيرهم من مخالفته

(سورة المدثر) يراد منها ارشاد النبي ايضا وتصبيره وتحذيرهم

(سورة القيامة) سميت بهذا لانه اقسم بها ليبعثن وكلها سياق واحد في البعث وما يتعلق به . وقوله لا تحرك به لسانك ليس فيه قطع للسياق بل هو خطاب للانسان المذكور في قوله « ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر » اذا قرأ كتاب أعماله بسرعة

(سورة الدهر) سميت بهذا لذكر لفظه فيها وقد قسم فيها الانسان الى شاكر وكافر وبين ما أعد لكل منهما وختمت بتصبير النبي ونهيه عن طاعة كل آثم او كافر

(سورة المرسلات) يراد منها اثبات البعث وتهديدهم بما يوعدون فيه وكذلك سورة النبأ والنازعات

(سورة عبس) يقصد منها عتاب النبي وقد عبس لمن جاءه للتذكرة وتصدى لمن استغنى عنها وقد ختمها برفع شأن تلك التذكرة ومدح من يتذكر بها وذم من يكفر بها ولفته اليها

(سورة التكوير) سميت بهذا لقوله فيها « كورت » ويقصد منها بيان ان كل نفس مسئولة عما قدمت يوم الآخرة وان ذلك لاشك فيه لانه قول رسول كريم الخ وكذلك سورة الانفطار

(سورة المطففين) يراد منها تحريم التطفيف وتهديد المطففين الفجار وتبشير الابرار الذين لا يطففون

(سورة الانشقاق) سميت بهذا لقوله فيها (انشقت) ويقصد منها ان كل انسان ملاق عمله يوم القيامة وتفصيل ذلك

(سورة البروج) يقصد منها تهديد المشركين بمثل ما جرى لاصحاب الاخدود وفرعون وثمود

(سورة الطارق) يقصد منها بيان ان كل انسان محفوظ عليه عمله وان الله قادر على رجعه ليحاسبه عليه

(سورة الاعلى) سميت بهذا لذكر لفظه فيها ويقصد منها الدعوة الى الله فمن اجاب نجا ومن خالف هلك

(سورة الغاشية) هى القيامة التى تكون فيها وجوه خاشعة ووجوه ناعمة الخ وقد ختمت بلفت نظرهم الى الابل كيف خلقت . . . ليعلموا ان الله قادر على بعثهم

(سورة الفجر) سميت بهذا لانه اقسم فيها بالفجر وما معه انهم ليعذبون كما عذبت عاد وثمود وفرعون وقد ذكر بعد هذا ان الله لهم بالمرصاد يرى رضاهم اذا اكرمهم وسخطهم اذا ضيق رزقهم وانهم لا يكرمون اليتيم الخ

(سورة البلد) هي مكية وقد اقسم بها انه خلق الانسان يكابد المصائب والشدائد فلا يصح له ان يفتخر بقوته وبما ينفقه في وجوه الشر وقد جعل الله له عينين ولسانا وبين له طريق الخير والشر فهلا أنفق ماله في فك رقبة الخ

(سورة الشمس) أقسم بالشمس وما معها ان من يزكى نفسه يفلح ومن لا يزكيها يخيب كما خابت ثمود حينما كذبت رسولها

(سورة الليل) يقصد منها تقسيم الناس الى فريقين طائع وعاص وبيان حال الفريقين

(سورة الضحى) يراد منها تطييب خاطر النبي وبيان فضل الله عليه وكذلك سورة الانشراح

(سورة التين) سميت بهذا لانه اقسم به انه خلق الانسان في أحسن تقويم الخ فهو قادر على بعثه يوم الدين

(سورة العلق) يقصد منها الدعوة الى الله وذم من يصد عنه ويكذب به وتهديده اذا لم ينته عن ذلك بما هدده به

(سورة القدر) يراد منها تشريف ليلة القدر التي أنزل فيها القرآن الكريم

(سورة البينة) وهي محمد الذي لو لم يبعث لبقي الكافرون

على كفرهم فالسورة فى بيان الحاجة الى رسالته

(سورة الزلزال) يقصد منها التذكير بيوم القيامة الذى يجازى فيه الناس على أعمالهم من خير او شر

(سورة العاديات) وهى الخيل تعدو فى الجهاد أقسم بها ان الانسان كنود وهدده على ذلك بما هدده به

(سورة القارعة) وهى القيامة ويراد من السورة شرحها وبيان حال من ثقلت او خفت موازينه فيها

(سورة التكاثر) يقصد منها ردعهم عن التكاثر بالاموال والاولاد الذى ألهاهم عن طاعة الله

(سورة العصر) يقصد منها بيان فضل العمل الصالح والتواصى بالحق والصبر

(سورة الهمزة) يقصد منها تحريم الهمز واللمز

(سورة الفيل) يراد منها التذكير بعناية الله بالبيت الحرام

(سورة قريش) الغرض منها دعوتهم الى عبادته

(سورة الماعون) سميت بهذا لانه حرم فيها أمور منها منع الماعون

(سورة الكوثر) يراد منها تشريف النبى وانه اعطى ما هو خير من الولد

(سورة الكافرون) الغرض منها قطع طمع الكافرين من موافقة النبي لهم

(سورة النصر) يقصد منها تبشير النبي بالنصر على عدائه ودخول الناس فى دينه أفواجا

سورة اللهب) نزلت فى تهديد أبى لهب وامرأته حمالة الحطب

(سورة الاخلاص) يقصد منها تنزيه الله عن الشريك والولد

(سورة الفلق) يراد منها ارشاد الناس الى الالتجاء الى الله فى دفع شرور الخلق التى تؤذى الجسد . ويراد من سورة الناس ارشادهم الي الالتجاء اليه فى دفع ما يفسد منها القلب وبالسورتين ختم القرآن والدعاء يناسب الختام

نظرات ختاميات

-١-

توجد سور كثيرة تتفق فى غرض واحد كاثبات التوحيد ومثل القرآن فى هذا صحيفة من صحفنا اليوميه نصبت نفسها لغرض وطنى او دينى . أليست تصدر كل يوم وقبلتها ذلك الغرض بلون لا يختلف عن سابقه فى الجوهر

ولا يسأمها القراء بل يقبلون عليها بشغف . فلا غرابة فى أن يسلك القرآن هذا السبيل فى تأييد الدعوة الإسلامية . وانما كان يكون غريبا أن يصدر بلون واحد فى اثبات التوحيد مثلا يكرره أمام أصرارهم ثلاثا وعشرين سنة

-٢-

إن السورة قد تكون فى اثبات صحة القرآن ولا تخلو من كلام فى التوحيد او الرسالة او المعاد أو الوعيد والوعيد والعكس بالعكس وسبب هذا ان هذه أمور جاء بها القرآن وكانت سببا فى انكارهم له فلما اشتركت فى هذا صح إن تأتى السورة فى بعضها ثم تتناول فى بعض نواحيها غيره منها

(تم الجزء الثالث)

(تنبيه) وقع فى سورة الكهف خطأ فى وضع العناوين لا يخفى على القارىء

وفي أول صحيفة ٢٢٣ يزاد كلمة (تهديدهم و)



Bibliotheca Alexandrina
0428211